خلف كواليس الحياة

خلف كواليس الحياة

رواية

طـــه لطفـــي

اسم الكتاب: خلف كواليس الحياة
اسم الكاتب: طه لطفـي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد إبراهيم
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠٢٠
رقم الإيداع: 2019 /25447

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

المقدمة

هل مر عليك موقف وأثناء حدوثه شعرت بأنه قد حدث أمامك من قبل ؟ ..
هل جال بخاطرك يوما أنه ربما كان لك حياة أخرى غير التى تحياها الأن ؟ ..
هل سألت نفسك يوما من أنت ؟ .. من أين أتيت ؟ .. وكيف كانت نشأتك ؟..

******

لقد أخبرنا الخالق عن كيفية خلقه ونشأته لهذا الكون المادى الفسيح ..

وكذلك عن خلقه لجنسنا البشرى .. فجميعنا يعلم كيف خلق الجسد الأول من طين صلصال .. ونعلم كيف نشأت أجسادنا فيما بعد خلقا بعد خلق فى الأرحام من ماء مهين ..

كما أن جميعنا يعلم أننا لسنا الجنس الوحيد العاقل والمكلف من قبل الخالق فى هذا الكون .. بل ولسنا الجنس العاقل المكلف الوحيد الذى يسكن هذه الأرض .. فهناك جنس آخر قد سبقنا إليها .. إنهم الجان ..

وقد خلق لهم الإله أجسادا من نار السموم .. وأنهم غير مرحبين بوجودنا معهم على هذه الأرض ، ويرجع هذا لتفضيل الإله لجنسنا البشرى على جنسهم واتخاذه لنا خلفاء له فى الأرض ..

ولهذا فقد فصل الإله بين جنسينا بأن ضرب بيننا وبينهم حجاب فجعلهم غير منظورين بالنسبة لنا .. وكذلك جعل علينا حفظة نورانيين يصدوهم عنا ..

وهؤلاء المحفظة هم الملائكة الكرام البررة .. وهم جنس آخر عاقل ومكلف من قبل الإله .. ولكنهم جنس مجبول على طاعة الإله لا يعصونه ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، فهم ليسوا مخيرين فى الأمر كجنسي الإنس والجان

كل هذا جميعنا يعلمه .. ولكن الإله قد حدثنا عن خلقه لهذه الأجساد المادية الفانية ولم يحدثنا عن خلقه للأنفسنا نحن ! ..

فهذه الأجساد التى ننظر إليها الآن ليست هى أنا وأنت ! ..

إنها بمثابة الوعاء الذى يحتوينا ويخضعنا لقوانين المادة وأحكام الزمان التى وضعها الخالق لتحكم وتنظم كونه المادى ..

إنها فقط الوسيلة التى تمكننا من التواجد والتعايش والسعى على هذه الأرض، حالها كحال بدلة رواد الفضاء التى صنعناها لأنفسنا لتمكننا من التعايش خارج بيئة هذه الأرض ..

فكيف خلق الإله هذه الأنفس ؟ .. وكيف كانت نشأتها ؟ ..

هل كانت لهذه الأنفس فى العدم كينونة قديمة أزلية .. وقد أخرجها وأوجدها الإله بقدرته من هذا العدم وجعل لها وجود مادى ملموس .. وجعل لها الوسيلة التى تمكنها من أن يكون لها إرادة وفعل بأن صورها وخلق لها هذا الجسد والعقل والذى أخبرنا عن كيفية خلقه ونشأته له ؟ ..

كل هذه أسئلة أثارتها بداخلى ظروف حياتية صعبة وإستثنائية ، والتى سأحكيها لكم فى الصفحات القادمة .. ولكن دعنا نتفق أولا على بعض الأمور

- هذا الجسد المادى الذى تنظر إليه فى المرآة ليس أنت ..

إنه فقط الوسيلة التى تجعل لك وجود مادى ملموس وتجعل لك إرادة وفعل فى هذا الوجود .. فأنت بدونه لا حول لك ولا قوة ..

- هذا الكون المادى وهذه الأرض التى نعيش عليها ليست موطنك ..

وليست مستقرا لك .. فوجودك فيها لأجل حدده الإله لك سلفا وينقضى بتحررك من أحكام هذا الجسد أو هذه الوسيلة .. حيث يعود هذا الجسد الطينى إلى حيث ينتمى ، وتذهب أنت إلى حيث قضى الإله لك ..

- نحن جميعنا نغادر هذه الأجساد فى كل يوم بالفعل ..

ويحدث هذا حين نخلد إلى النوم .. تلك الظاهرة التي نعجز عن وضع تفسيرا منطقيا لحدوثها حتى الآن ، ودارت حولها العديد من التساؤلات ..

فلماذا حقا ننام ؟ .. وكيف لا نستطيع كبح جماح هذه الظاهرة بألا ننام ؟ ..

وأين يذهب إدراكنا ووعينا أثناء النوم ؟ .. لا أحد يعلم ! ..

فالنوم على أي حال هو تحرر من أحكام وقيود هذا الجسد المادى إلى حيث لا وجود لقوانين المادة وأحكام الزمان .. وهناك نرى الكثير والكثير مما لا نتذكر

منه شئ حين نعود أدراجنا إلى هذه الأجساد ، سوى بعض ما نسميه برؤى وأحلام ..

- وأنه من المسلم به أننا مرتبطين بهذه الأجساد المادية إرتباطا وثيقا بحيث يسريي علينا ما يسري عليها من أحكام وقوانين .. ومن خلالها فقط نشعر بالجوع والعطش ، والصحة والسقم ، والسعادة والحزن ، والتلذذ والألم ..

ولهذا سوف تنبت هذه الأجساد لنرتبط بها من جديد يوم البعث العظيم ..

فهى الوسيلة التى سينعم من خلالها المنعمين ، ويعذب من خلالها المعذبين

- وإرتباطنا بهذا الجسد الطينى هو ما يحجب عنا رؤية الأجناس الأخرى من الجان والملائكة الكرام .. في حين أن هناك البعض منا يقل إرتباطهم بهذا الجسد لسبب ما غير معلوم ، فيقل بذلك معه تأثرهم وإنصياعهم لأحكامه وقوانينه .. وهؤلاء يكون لديهم بعضا من الشفافية يتميزون بها عن سائر جنسنا فالبعض منهم مثلا تكشف عنهم الحجب وتفتح لهم نافذة إلى الجانب الآخر .. ذلك الجانب المحجوب والمحرم على جنسنا رؤيته من عالم الجن ..

وهذه الظاهرة يسميها الروحانيين من جنسنا بالعين الثالثة ..

والبعض يحدث لهم نوع من الإرتقاء والتحرر من أحكام الزمان والمكان .. بحيث يرون أنفسهم بين اليقظة والنوم وقد إنفصلوا وتحرروا عن أجسادهم ..

يتنقلون من مكان إلى آخر دون التقيد بأحكام الزمان والمكان التى تحكم أجسادهم في عالم الماديات .. وربما يشاهدون أحداث هى فى حكم الزمان والمكان حيث ترقد أجسادهم المادية الفانية أحداث مستقبلية ، أو أحداث قد مضى على حدوثها دهر ..

وسميت هذه الظاهرة لدى الباحثين والمهتمين بالإسقاط النجمى ..

والبعض من هؤلاء قد يبلغ تحررهم هذا مبلغا عظيما ، بحيث لا تتحمل عقولهم هول ما يمكن أن يتعرضوا له أو يعرفوه ، فتذب عقولهم أو يعلق إدراكها ووعيهم خارج حدود الزمان والمكان ، فتراهم يسيرون بيننا بأجسادهم وأرواحهم دون وعى منهم أو إدراك .. وربما البعض منهم توافيهم المنية وينقضى أجلهم ليكتمل بذلك تحررهم وانفصالهم عن عالم الأحياء بالكلية ..

فكم من صحيح سمعنا بانقضاء أجله أو فقدانه لعقله وإدرا كه بغير علة ؟

فكل هؤلاء المجاذيب الهائمين من حولك ، هم من أولئك البائسين العالقين ..

هؤلاء عرفوا الكثير وشاهدوا الكثير مما لم تتحمل عقولهم إستيعابه وإدراكه

والآن دعونى أستعرض لكم جانبا من حياتى الشخصية كأحد هؤلاء البائسين .. أو كوني حالة إستثنائية كتبت لها النجاة من مصير كان حتمى بالنسبة لغيره من كل هؤلاء البائسين ..

وأظن أن الأمر سيروق لكم .. أو على الأقل أعدكم بألا أثير مللكم ..

******

الفصل الأول
طفولة بائسة

١- لا تفزع ياصغيرى انه مجرد حلم :

بدأ الأمر معى فى سن مبكر ؛ فكنت فى سن السادسة تقريبا ، حين شاهدت نفسى أرتقى وأتحرر من جسدى لأول مرة ما بين اليقظة والنوم إلى حيث اللا زمان واللا مكان .. حينها هرعت الى أمي فزعا فأخذت تهدئ من روعى ، وأخبرتنى أن هذا يسمى حلم ، وأن الجميع يحلمون ، فلا داعى للخوف والقلق وعلمتنى بعض الكلمات قالت أنها ستحفظنى وتزيل عنى الخوف !! ..

ولهذا توقفت عن الشكوى وعن الخوف ، فلا شيئ فى الأمر يدعوا للفزع والخوف طالما لا أحدا يطاردنى على أى حال ، فقد إعتدت على حدوث الأمر فى كل ليلة تقريبا ، حيث أنفصل عن جسدى تاركا اياه ممددا بلا حراك ، ثم أنطلق بعيدا عنه سابحا حيث اللازمان واللامكان واللامنطق ، فأرى الكثير من الأحداث ، وأرى أيضا الكثير من هؤلاء العالقين هناك ، ثم أعود أدراجى الى هذا الجسد من جديد !! ..

وكنت فى الصف الثانى الإبتدائى حين بدأت فى كتابة وتدوين أول حلم أو رؤيا فى كراستى الخاصة .. وذات يوم حين عودتى من المدرسة سمعت بخبر وفاة جدى ، فوضعت حقيبتى فى المنزل وذهبت مسرعا لأقف أمام منزل جدى المجاور لمنزلنا ، فكان هناك الكثير من النساء الباكين ذوي الجلابيب السوداء يفترشون الأرض داخل المنزل وخارجه ، ثم رأيت هذا الكلب الذى كان يعتنى به جدى يخرج من المنزل فى حالة من الهياج والفزع ، ورأيت النعش وقد حمله مجموعة من الرجال خارجين به من داخل المنزل ..

حينها وبمجرد خروج النعش من عتبة البيت سمع للبيت صوتا كالأنين ، ثم بدأ سقف الجزء الخلفى منه فى السقوط ، فحل الفزع والهلع فى قلوب الحاضرين ، وأسرع من كانوا بداخل المنزل حينها في اخلائه فى أجواء ملأها الفزع والتوتر

وسمعت الناس يرددون فيما بينهم القول بأن البيت قد سقط حزنا على فراق صاحبه ، فياله من رجل صالح ومبارك .. حتى ظننت أنهم سيجعلون له مقاما فيما بعد !! .. حقا أن جدى كان رجلا صالحا ، محمود السيرة بين الناس .. ولكن البيت أيضا كان قديما وعتيقا جدا ، فقد كان الأقدم فى الحى كله وحتما كان سيسقط يوما ما .. وكونه سقط تحديدا فى ذلك اليوم فهذا لا يعنى أي شئ سوى فقط المصادفة !! ..

وبعد إنتهاء اليوم عدت إلى المنزل فاستقبلتنى أختى الكبيرة بنظرة مريبة ، فسألتها ما الأمر ، فمدت لى يدها بكراسة المذكرات الخاصة بى متسائلة .. أنت كتبت هذا ؟ .. فقلت نعم فهذه كراستى !! ..

قالت .. لقد قرأت محتواها منذ يومين مضو ، وأظن أننى قرأت فيها أحداث قد حدثت اليوم بشئ من التفصيل !! .. فكيف لهذا أن يحدث ؟ .. فأمسكت بالكراسة وقلت لها .. مجرد حلم وتحقق ، والجميع يحلمون .. وربما تتحقق أحلامهم .. هكذا قالت أمى !! ..

كان ينتابنى حينها شعور غريب ، ففى كثير من الأحيان كنت أشعر بأن الأحداث من حولى تكرر بشكل ما !! .. ، أشعر بأنها حدثت أمامى من قبل !! .. ولكن فكيف هذا ؟ .. ومتى ؟! .. حقا لا أدرى !! ..

وكانت هذه مجرد البداية .. حيث تغيرت الأمور وساءت كثيرا حين بدأت رؤيتى لهذه الأطياف ..

****

٢- الفلكة :

هنا " القاهرة " إنها مدرستى الإبتدائية ، مدرسة الفصل الواحد ، هكذا كانوا يطلقون عليها ، وهذا لأن كل صف دراسى بها عبارة عن فصل واحد ، فهى مدرسة بسيطة جدا وعتيقة جدا .. عبارة عن عدة فصول متراصة بجانب بعضها البعض ، بالإضافة إلى حجرة الناظر وحجرة الفئران بالطبع ، ويفصلهم عن حوش المدرسة ممر طولى أوطرقة ضيقة ، بالإضافة إلى حديقة بطول الممر لايتعدى عرضها المتر والنصف ، بها العديد من الأزهار ، وبها نخلتين ، وفى الجانب الأخر توجد دورات المياه والحمامات ..

وهذه الحجرة هى فصلى ، فأنا الأن أصبحت فى الصف الثالث الابتدائي ..
هناك عند الزاوية بجانب السبورة السوداء التى تملئ الحائط فى مقدمة الفصل يقف خمسة أطفال مذعورين منتحبين ، وفى الجهة المقابلة بجانب السبورة وباتجاه الباب يقف الأستاذ (أيمن) أستاذ الحساب مستعرضا خرزانة يكاد طولها يقارب طوله ، وهناك طفل مجندل وممدد على الأرض موضوعة قدماه الحافيتين فى آلة عجيبة ! .. عبارة عن عصى خشبية مربوط بها حبل من كلا الطرفين تسمى (الفلكة) ! .. ويمسك بها رجل بدين ذو شارب عريض وجلباب أزرق وهو (عم محمد) الفراش ، بحيث يرفع قدم هذا الطفل المجرم الحافيتين لتهيأتهما للجلد ..
بينما الطفل يصرخ ألما طالبا للرحمة متوسلا مستجيرا ! ..

ولكن من يجير مثل هؤلاء الأطفال الملاعين المجرمين ؟ ..
إن جرمهم لا يغتفر .. فالمجرمين قد نسوا كراسة الحساب !!! ..

وال "فلكة" كانت هى الأداة الرسمية المعتمدة من وزارة التربية والتعليم لتعذيب .. أقصد لمعاقبة التلاميذ حينها .. ولا أعرف فى الحقيقة من إبتكرها ؟.. ومن أين جاءته فكرتها من الأساس ؟! .. فمن يدري ؟ .. فلعله إستوحاها من آلات التعذيب المستخدمة قديما فى محاكم التفتيش بالأندلس ؟! ..

وهكذا كان التعليم على أيامنا ، وهكذا أيضا كان الأستاذ (أيمن) نموذج للمعلم الفاضل الذى أنشد فى حقه الشاعر أحمد شوقي يوما ما قائلا..

قُـمْ للمعلّمِ وَفِّـهِ التبجيـلا * كـادَ المعلّمُ أن يكونَ رسولا *
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذى * يبني وينشئُ أنفـساً وعقولا

واستحقاقا للحق ، فربما لا يلام المدرس حيال ميوله السادية تلك فى معاقبة تلاميذه ، فعلى أيامنا عندما كان يأتى أحد ولاة الأمور ليستخبر عن أحوال إبنه ، فيوصى عليه مدرسه قائلا .. " أريدك أن تكسر رقبته ، وحين يأتينى سأكمل عليه " ثم أرده اليك !!! ..

فبدلا من أن يشتكى التلميذ من وحشية المدرس لوالده ، كان يخشى حينها أن يعلم والده أنه عوقب وعذب من الأساس !! ..

وهناك فى وسط هؤلاء الأطفال المذعورين يقف طفل ملتزما الصمت والهدوء التام ، غير مبالى بكل ما يحدث حوله وكأن الأمر كله لا يعنيه فى شيئ ! ..
وحين أتى عليه الدور .. طلب منه الأستاذ أن يخلع حذاءه ويطرح نفسه أرضا ويرفع قدمه ليدخلها هو بنفسه فى الفلكة ؟! .. فهكذا طلب من الأطفال الذين سبقوه لحتفهم فانصاعوا لأوامره طائعين فى ذل وانكسار ؟! ..

ولكن الطفل ظل محتفظا بهدوئه وصمته ولا مبالاته ! ..
فانفعل (عم محمد) الفراش وجذب الطفل إليه بعنف صارخا فيه ..
<< إخلص إحنا مش هنضيع اليوم كله عليك >> .. هنا سقط الطفل من فوره على الأرض مغشيا عليه ، وقامت حينها القيامة ، وحل الهلع والتوتر ليعم أرجاء المدرسة ، والتى إلتف مدرسوها الأفاضل حول الطفل الذى لا يستجيب لمحاولات المسعفين ، وكأنه فارق الحياة أو كاد أن يفارقها ، بينما إنزوى الأستاذ (أيمن) بكل جبروته وبطشه هذا فى إحدى زوايا الفصل جالسا القرفصاء واضعا يداه على وجهه باكيا منتحبا ! .. وأخذ يقسم لجميع من حوله قائلا .. والله أنا لم أفعل له شيئ ! .. ولم أمسه بسوء ! ..

وحضر مدير المدرسة وجبينه يتصبب عرقا ، وأمر بسرعة نقل الطفل إلى المستشفى .. حينها هلل أحد الأساتذة مستبشرا .. فقد بدأ الولد يسترد وعيه أخيرا .. حيث أخذ الطفل عيناه فى تثاقل وإعياء شديد ، وعلى الفور حمله ناظر المدرسة متوجها إلى الفناء ليساعده على تنفس الهواء الطلق ، وإنتفض الأستاذ (أيمن) بدوره كمن عادت له الحياة من جديد ، حيث أسرع مهرولا بإحضار كمية لا بأس بها من العصائر ليقدمها للطفل الذى نظر فى عين أستاذه ليراه باكيا ! .. فكادت أن ترتسم على وجهه إبتسامة لولا أنه حبسها ..

كنت أنا هذا الطفل ، وقد حصلت حينها على أجازة أسبوع كامل للراحة ..
وفى نفس اليوم جاءنى صديقى (بكر) فى منزلى زائرا ، وما أن وقعت عينه على عينى حتى بادرنى بقوله المعتاد .. << أنت شيطان ياصديقى ! .. >>
ودائما كان ينعتنى (بكر) بهذا القول كلما تخطيت مأزق أو أفلت من عقاب ! ..

– فقلت له .. << كان من المفترض أن تشكرنى بدلا من نعتى بهذا فقال ! >> ..
– << وعلى أي شيء أشكرك ؟ .. هل قدمت لى صنيعا ما دون أن أدري ؟ >> ..
– << بالطبع أيها الأحمق ! .. فلن يعد هناك فلكة بعد اليوم .. ولن يجرؤ أستاذ على التلذذ بتعذيب أحدكم بعد اليوم ! >> ..

- << لقد تعمدت الخروج رغم أنك لم تنسى كراستك لتحدث كل هذه الفوضى ولا أخفيك سرا .. فقد كدت أن أوشي بك في اللحظات الأخيرة .. فلعلك نسيت أنه ثمة صلة قرابة بينى وبين الأستاذ (أيمن) ! >> ..

- << بل لم أنسى ذلك .. ولكنى تعمدت الخروج حينها لأضع حدا لمعانات الحمقى من أمثالك !! >> ..

- << الحمقى من أمثالي ؟! .. وكأنك ترى نفسك مميز عن من حولك ؟! .. >> ..

- << بالطبع ! .. فأنا لست بأحمق على أي حال .. >>

وهكذا كنت وأنا فى هذا السن المبكر شديد الثقة والإعتزاز بكينونتى ..
فكنت أستخف بعقول كل من حولى وأعتبرهم مجرد مجموعة من الحمقى يسهل التلاعب بهم .. وكنت لا أرى فى هذا العالم المليئ بالحمقى من يكافأنى فى المكر والدهاء .. فكنت لا أخشى أحد أيا من كان ..

ماعدا هذا الشيخ أشيب الشعر الذى كان يأتينى فى كل ليلة حين أرتقى وأتحرر من جسدى بين اليقظة والنوم ! .. فأنا لا أعرف من هو وماذا يريد ! ..
نظراته تخترق جسمى وتوجعه ، وكأنه يبحث أو ينظر لشيئ ما بداخلى ! .. والخوف الذى طالما قهرته أراه يتملكنى كلما وقعت عينه على عينى ! ..
ملامحة الهادئة الصامته تخفى من ورائها قوة مجهولة ومخيفة ! ..

إنه لا يتكلم ولا يريدنى أن أتكلم ! .. فكلما حاولت التكلم لكسر هذا الصمت المخيف ، وازالة هذه الرهبة التى تملكت من كل ذرة بداخلى .. أرانى عاجزا عن تحريك لسانى أو أن أفتح فمى ! .. بل وعاجزا عن تحريك أيا من جوارحي ! .. فجوارحى كلها مكبلة بأثقال لا تراها عينى ! .. ترهقنى كلما حاولت التفلت منها

فمن يكون هذا الرجل ؟ .. وماذا يريد ؟ ..

****

٣- المبجل :

مرت الأيام وأنا على هذا الحال ، وقد أصبحت الأن فى الصف الرابع الإبتدائى ، وكنت أجلس على تختة في منتصف الفصل تماما ، ويجلس بجواري صديقى (بكر) ذلك الصديق الكئيب .. أنتم تعرفونه ، ذلك الذى ظله لا يفارق ظلى ، والذى فرغ نفسه تماما لتنصب كل اهتماماته فى مراقبة تصرفاتى وعد أنفاسي ثم نعتى بقوله المعتاد .. << أنت شيطان ياصديقى ؟! .. >>

وها قد دخل علينا الأستاذ (طايع) مدرس أول اللغة العربية ، جهبذ من جهابذة اللغة ، وعلم من أعلام الأدب .. دخل متأبطا خرزانته الرشيقة ، ويحمل فى يده حقيبة بنية مصنوعة من الجلد ،

قيام..... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..... جلوس

ثم وضع حقيبته على المنضدة ، وأخرج منها كشكول التحضير ، ثم أمسك بالطبشورة وإتجه إلى السبورة ، تأكد أن البسملة تتوسطها ، والتاريخ الهجرى على يمينها والميلادى على الجانب الآخر منها ، ثم كتب جملة طويلة وضع تحت إحدى كلماتها خط ليميزها ، ثم رجع خطوتين للخلف ، وأشار بخرزانته الرشيقة على الكلمة المميزة قائلا .. أعرب ما تحته خط ..

رفع بعض التلاميذ أيديهم وكنت أنا أولهم وأكثرهم حماسا ، وإذا بصديقي (بكر) يهمس فى حذر قائلا .. قل بسرعة .. قل .. قل ، ولكننى لم أعيره أي إهتمام ، ولم ألتفت له .. ثم أخذ الأستاذ "طايع " يمر فى الطرقة التى تتوسط صفوف " الدكك" باحثا عن فرائسه ، وأول فريسة له تكون دائما وكالعادة صديقنا (عبد الرحيم) ، فهو فلتة من فلتات الزمن ، فلا أعرف حقا كيف تمكن (عبد الرحيم) من إجتياز إختبارات السنين السابقة ، ليصل إلى الصف الرابع ! .. فهو يكاد لا يستطيع أن يكتب إسمه حتى ! ..

قام (عبد الرحيم) .. فاتحا فاه .. مثبتا نظره على الأستاذ (طايع) لا يفارقه ، ملتزما الصمت التام كما لو كان صنم لا يتكلم .. فقال له الأستاذ (طايع) بلهجة تقترب من التوسل والرجاء .. << يا ابنى أنا نفسى أسمع صوتك قبل أن أموت ، قل أى شيئ حتى ولو خطأ ، سأتقبله منك وأسعد به .. لماذا تنظر الي هكذا ؟! الكلمة ليست مكتوبة على وجهى ، إنها هناك على السبورة >> ..

ولكن لا حياة لمن تنادى ، حينها أمره الأستاذ (طايع) بفتح يده ، ثم جلده عليها جلدة واحدة بالخرزانة ، ملتزما بالتعليمات الصارمة التى أصدرتها إدارة المدرسة ، وذلك بعد حادثة الفلكة التى تعرفونها ، فقد ألغت إدارة المدرسة إستخدام الفلكة بشكل رسمى ، وشددت على عدم الإسراف فى معاقبة الطلبة ، فحددت لذلك جلدة واحدة فقط أو إثنين بحد أقصى عند الضرورة والحاجة لذلك ..

وبعدها أمره الأستاذ (طايع) بالتوجه الي آخر الفصل والوقوف بجوار الحائط هناك لنهاية الحصة ، ثم إنتقل إلى الفريسة التى تليه ثم التى تليه وهكذا ، حينها همس لى (بكر) وقد بلغ التوتر منه مبلغا فقال ..

أخبرنى بسرعة قبل أن يأتينى أيها النذل ، قل شيئا .. قل .. قل ! ..

ولكننى لم أستجب لطلبه ولم ألتفت إليه ..

وحين إقترب الأستاذ (طايع) من مقعدنا ، ازداد توتر صديقى (بكر) بشكل مفضوح ، وبعد أن تخطانا بخطوتين إلتفت فجأة ليضع يده على كتف صديقى (بكر) بحركة سينمائية مبهرة ، وكأنه قد إشتم رائحة الخوف والتوتر التى تفوح منه ، فضجت في أعماقي ضحكات تكبدت العناء في اخفائها ..

حيث قال له الأستاذ (طايع) .. قم أنت وأجب .. فقام (بكر) مطأطأ رأسه فاتحا يده مهيأها للجلد ، ودون أن ينطق بكلمة واحدة توجه إلى الحائط فى آخر الفصل لينضم الى صديقنا (عبد الرحيم) ونخبة من خيرة الأصدقاء معه ..

وبعد أن أشبع الأستاذ (طايع) غريزته فى نشر الرعب والفزع فى قلوب التلاميذ ، ليرسخ فى نفوسهم أنه ذلك الأستاذ " المبجل" صاحب الهيبة الذى يجب أن يهابه التلاميذ فور دخوله عليهم الفصل ! .. توجه بعدها إلى السبورة وكتب عنوان الدرس الجديد ، ثم بدأ الحصة ..

وبعد إنتهاء الحصة رجع صديقى (بكر) مستاءا ، غاضبا ليجلس مكانه بجوارى دون أن يتحدث إلي بكلمة ، وكأنه قد خاصمنى ، فسألته .. مابك ؟! ..

فنعتنى هذه المرة بالنذل ، وتسائل بدوره .. لماذا لم تخبرنى بالإجابة حين طلبتها منك ؟ .. فأجبته مبتسما وأنا أستحضر في ذهنى ذلك المشهد المدهش للأستاذ (طايع) وهو يلتفت فجأة ليضع يده على كتفه وكأنه أمسك بلص تكبد العناء فى البحث عنه ! .. وقلت .. لأننى لا أعرف الإجابة أيها الأحمق ! .. فقال فى غيظ شديد .. ولماذا كنت رافعا يدك إذا أيها المخادع ؟! ..

فأجبته قائلا .. لأن الأستاذ (طايع) لا يهمه معرفة من لديه الإجابة على سؤاله .. فهدفه الأساسى من طرح سؤاله المعتاد ، هو إصطياد أكبر عدد من الفرائس ليذيقهم بأسه ومرارة خرزانته الرشيقة تلك ، فحين أرفع يدى لا يلتفت الي وبذلك أكون فى مأمن من بطشه ! ..

فقال حانقا .. أى شيطان أنت ؟! .. فقلت له .. عادة الشيطان ياصديقى هى الكذب ، أما أنا فلا أحتاج إلى الكذب للتعامل مع الحمقى أمثالكم ..

حينها أطال النظر الي دون أن يتفوه بكلمة واحدة .. فاستطردت قائلا ..

على أى حال يمكنك أن تفعل مثل هذا الشيطان إن أردت أن تفلت من العقاب فى المرة القادمة ..

وبالفعل ففى اليوم التالى رفع (بكر) يده بحماس مبالغ فيه ، حتى أنه كاد أن يفقع عين الأستاذ (طايع) بيده حين إقترب منه ، وكاد بذلك أن يفسد الأمر بحمقه هذا ، لولا أن شغف الأستاذ (طايع) باصطياد أكبر عدد من الفرائس أعماه عن إكتشاف الحيلة التى أصبحت واضحة للأعمى بفضل هذا الأحمق ..

وسر صديقى (بكر) كثيرا أنه قد أفلت من بطش الأستاذ (طايع) وذلك لأنه تقريبا كان يعاقب فى كل حصة ويقضيها واقفا عند الحائط بجانب الأخ (عبدالرحيم) ونخبة من خيرة الأصدقاء فى أخر الفصل ..

ولكن هذا الأحمق قد أخبر الجميع بالحيلة ، ليتفاجأ الأستاذ (طايع) فى اليوم التالى حين بدأ الحصة بطرح سؤاله المعتاد أن الفصل بكامله يرفع يده فى حماس شديد ! .. والذى أدهشه أكثر وزاد الطين بلة أن (عبد الرحيم) هو الآخر يرفع يده !!! .. أقصد يرفع كلتا يداه ! .. فقد أخبره (بكر) ذلك المغفل .. أنه كلما كان أكثر حماسا كلما كان فى مأمن من بطش الأستاذ (طايع) وعقابه !

وعلى الفور وبدون تردد قال الأستاذ (طايع) .. قم يا (عبد الرحيم) وأجب عن السؤال .. أرجوك ! .. فقام (عبد الرحيم) فاتحا فاه .. مثبتا نظره على الأستاذ طايع لا يفارقه .. ملتزما الصمت التام كما لو كان صنما لا يتكلم ..

فهز الأستاذ (طايع) رأسه متفهما ، ثم نظر إلى تلميذ آخر وقال له:

- قم أنت وأجب .. وأنت .. وأنت ..

ليكتشف أنه لا أحد ممن رفعوا أيديهم لديه إجابة علي سؤاله ، فاستشاط غضبا وقرر أن يجلد كل من لا يعرف الإجابة ثلاث جلدات على يده ، ضاربا بالتعليمات المشددة من قبل الادارة عرض الحائط متجاوزا للحد الأقصى الذى حددته ادارة المدرسة لعدد الجلدات المسموح بها لمعاقبة التلاميذ .. وكان هذا لشدة غيظه وغضبه ، فقد أحس أن هيبته قد إهتزت عند تلاميذه .. ولم يعد فى نظرهم ذلك الأستاذ المبجل ذو الهيبة ..

وبدء الأستاذ (طايع) فى جلد التلاميذ واحدا تلو الأخر مقتصا لهيبته .. وما أن وصل الي وقال قم وأجب ، قمت وأجبته قائلا .. << مفعول مطلق >> .. فقال مستنكرا ومستهزءا << مفعول مطلق" ؟! .. >> .. ليتك سكت ولم تجب إفتح يدك .. ففتحت يدى وأخذت أول جلدة ثم جلست ..

فقال لما جلست ؟! قم فمازال هناك جلدتين مثلك مثل بقية زملائك ..

فقلت مستنكرا .. ولكننى لست مثلهم ! ..

فقال وما الذى يميزك عنهم ؟ ..

قلت .. هم رفعوا أيديهم دون أن يكون لديهم إجابة للسؤال ! ..

أما أنا فلدى إجابة ولكننى فقط أخطأت ، ولذاك فعقابى هو جلدة واحدة وقد أخذتها ..

فسكت الأستاذ طايع برهة ، ثم قال .. فلتجلس أنت ..

حينها سمعت صديقى (بكر) يزوم ويتمتم ببعض الكلمات والتى من المؤكد أنها لن تخلوا من كلمة (شيطان) كما هو المعتاد ! ..

وما أن إنتهى الأستاذ (طايع) من جلد آخر طالب حتى توجه إلى مقدمة الفصل مخاطبا تلاميذه فى غضب قائلا .. أتستغفلونى أنا أيها الأوباش ؟! ..

سوف أجعلكم تندمون على فعلتكم هذه ، وسوف تكون حصة اللغة العربية عليكم جحيم بعد الأن ، إلا إذا أخبرتونى بمن إقترح عليكم هذه الحيلة ..

فليس من المعقول أن يفكر الجميع فى نفس الحيلة جملة واحدة ..

لابد أن هذه الفكرة لشيطان بينكم .. أخبرونى من هو وينتهى الأمر ..

ولكن الجميع إلتزموا الصمت ولم يجيبه أحد .. فنظر الي الأرض وفكر هنيهة ، ثم رفع بصرة ناحية (عبد الرحيم) وقال .. قم يا (عبد الرحيم) ..

<< فقام (عبد الرحيم) فاتحا فاه .. مثبتا نظره على الأستاذ (طايع) لا يفارقه >>

حينها لمعت عين الأستاذ (طايع) واستطرد قائلا ..

عندي لك عرض وأظنه سيروق لك .. إن أخبرتنى بمن إقترح عليكم هذه الفكرة فلن أعاقبك لبقية العام .. وهذا وعد منى بذلك ..

وعلى الفور وبدون تفكير أشار (عبد الرحيم) إلى صديقنا (بكر) وقال ..

إنه (بكر) .. هو من إقترح علينا هذه الحيلة ..

فابتسم الأستاذ (طايع) فرحا حتى بانت نواجذه .. و لا أدرى أكانت إبتسامته وفرحه الشديد هذا حينها لكونه عرف صاحب الفكرة وأوقع به ؟ ..

أم لأنه أخيرا قد تحققت أمنيته وسمع صوت (عبد الرحيم) قبل أن يموت ؟ ..

المهم أن ذلك الأحمق (بكر) قد حصل على ثلاث جلدات إضافية ..

بالإضافة إلى جواب (الشرف) باستدعاء ولى الأمر ..

حينها نظر إلي (بكر) في غيظ وكمد قائلا .. هذا لأنني إتبعت شيطان مثلك ..

فقلت له .. لا ، بل هذا لأنك أحمق ! .. مثلك مثل الجميع ..

فقد أفسدت على حيلتى مع هذا (المبجل) ، وعلي الآن البحث عن غيرها ..

****

وحين عدت إلى المنزل توجهت إلى غرفتى لتبديل ملابسى ، وكانت الغرفة فى الطابق الثانى ، حينها انتابنى شعور غريب بأن أحدا يتعقبنى ! ..

وكأنى أسمع خطوات لشخص ما خلفى ! .. فنظرت من حولى فلم أجد أحدا فى الغرفة غيرى ! .. ولكن لا أعلم لماذا الشعور يتزايد ؟! ..

ولماذا يتملكنى الخوف من شيئ ما لا تراه عينى ؟! ..

حاولت أن أتمالك نفسى وأذيل هذا الاحساس الغريب والغير مبرر ..
ولكننى لم أستطع أن أكبح ذلك الشعور المريب بأن هناك خطب ما ! ..
وأن الأمر يزداد سوءا ! .. وأننى بالفعل لست بمفردى فى الغرفة ! ..
فكان التوتر يملأ أرجاء الغرفة كلها من حولى ، وكأن هناك أنفاس تحيط بى وتقترب منى شيئا فشيء ! .. حقا أنني لا أراها ! .. ولكننى أشعر بوجودها ! ..

وبالفعل بدأت أطرافى تتثاقل ، وبدأت القشعريرة تنتاب جسدى معلنة أن هناك خطر ما يحيط بى ويحاصرنى من كل اتجاه ! ..
حينها دخل أخى الأكبر الغرفة وتساءل فى دهشة .. ما بك ؟! ..
لماذا تقف في وسط الغرفة وتتلفت بهذا الشكل ؟..
حينها استعدت السيطرة والإحساس بأطرافى من جديد ، وزال التوتر الذى عم أرجاء المكان .. فأجبته قائلا .. لا عليك ، فقط تخيلت بوجود شيئا ما فى الغرفة فخفت أن يكون (فأرا) وأنت تعرف كم أشمئز من رؤية هذا المخلوق ..
فغادر أخى الغرفة بعد أن تفهم الأمر على النحو الذى أخبرته به ، وأسرعت باللحاق به خوفا من تكرر الأمر إن بقيت بمفردى ..

وحين حل موعد النوم ، ظللت جالسا على سريرى مستيقظا لبعض الوقت ، فمازلت لم أتخلص بعد من ذلك الشعور بالخوف الذى تملكنى حين أحيط بى اليوم فى هذه الغرفة من أشياء أحسست بوجودها ولم تراها عيني ! ..

بالاضافة إلى أننى على موعد مع ذلك الشيخ الأشيب ، فقد إعتدت على زيارته لى فى كل ليلة ، ومع ذلك لم أألف رؤيته بعد ، ففي كل مرة أراه فيها تكون كأنها المرة الأولى ! .. نفس الشعور بالخوف الذى يتملكنى حين تلتقى عينه بعينى فى كل مرة ! .. ونفس الاحساس بالألم حين تخترق نظراته تلك ضلوعى ! .. حتى أننى أعجز عن تفادى النظر إليه ! .. فالأمر كله خارج عن إرادتى ! ..

ففكرت في أن أنام بجوار أخى على سريره ، ولكن كبريائى منعنى من أن يلحظ أن الخوف قد تملك مني ، فكان الموت علي أهون من أن أضع نفسي في هذا الموضع ، فمكثت على سريرى لبعض الوقت أصارع النوم .. إلى أن غلبنى النعاس ..

فكان الشيخ الأشيب يقف أمامى بنظراته الحادة العميقة التى تخترق جسمى وتؤلمه دون حول منى ولا قوة .. ولكن كان هناك شيئ ما مختلف عن المرات السابقة ! .. فهذه المرة لم يكن الخوف الذى يتخللنى مصدره هذا الشيخ الأشيب فقط ، بل كان الخوف يحيط بى من كل إتجاه ، ولكننى لا أرى شيئا ! ..

فقط أسمع دبيب وخطى وأشعر بأنفاس من خلفى تقترب شيئا فشيئ ، دون أن أستطع النظر خلفى ، فإن جوارحى كما تعلمون مثقلة بقيود لا تراها عينى وقد شلت حركتى تماما ..

ومن داخل الظلام خلف الشيخ الأشيب ، خرج ثلاث كلاب سود لم أرى لبشاعة هيئتهم مثيل ، وكأن الرعب قد تجسد على هيئتهم لتراه الأعين وتلمسه ، تخرج منهم زمجرة أو صوت كالهدير مرعب وينذر بالهلاك ..

وقد إستقروا عند قدم الشيخ الأشيب لبعض الوقت قبل أن تتعالى زمجرتهم المرعبة تلك وهم ينظرون إلي ، ثم ينطلقون نحوى كالسهام وكأنهم الموت يركض نحوى ليمزق جسدى بأنيابه المرعبة ، فحاولت أن أتحرر من قيودى فلم أستطع حتى أن أحرك إصبعى ، بل ولم أستطع حتى أن أغمض عينى كما تفعل النعامة كى لا أرى بشاعة الموت يزحف منقضا علي ..

ولكن الكلاب لم تقربني ! .. بل تخطتنى لتهاجم شيئا ما خلفى ! ..

انها اذا تلك الأشياء التى أشعر بوجودها من حولى ! ..

أسمع من خلفى أصواتا غريبة متداخلة ومرعبة .. صراخ ، نباح ، زمجرة ، عواء ..

لقد تكسرت عظام روحى إن كان للروح عظام تتكسر ، ودمعت عينى ، وأخذت أردد فى نفسى قائلا .. إنه مجرد حلم وسينتهى أو سيوقظنى أحدهم ! ..

فصحوت على صوت أخى يوقظنى متسائلا فى حيرة .. ما بك ؟! ..

لماذا تبكى وتتألم هكذا فى نومك ؟! ..

فقلت له لا شيئ .. إنه مجرد كابوس مزعج .. فلا تشغل بالك بالأمر ..

فلماذا يحدث معى كل هذا ؟! .. ولماذا أنا دون غيرى ؟! ..

وما الجرم الذى إقترفته ليكون هذا هو عقابى ؟! ..

****

٤- لص الساندويتشات :

لقد مضى عام كامل ولا أتذكر من أحداثه الا القليل ، ففى الحقيقة أننا كلما تقدمنا خطوة للأمام فى درب هذا الماضى المشؤوم تصبح الرؤيا أكثر ضبابية ، بحيث يصعب معها إسترجاع كثير من الذكريات والأحداث الجلل ..

وقد أصبحت الأن فى الصف الخامس الإبتدائى ، ومازلت أجلس على تختة في منتصف الفصل تماما فهو المكان المفضل لدى ، ومازال يجلس بجواري ذلك الصديق الكئيب ، الذى ظله لا يفارق ظلى ، والذى فرغ نفسه تماما ليصبح شغله الشاغل هو مراقبة تصرفاتى وعد أنفاسي ، ثم ينعتنى قائلا ..

<< أنت شيطان يا صديقى ! >> .. إنه صديقى (بكر) ، لقد أصبح هذا الشخص بالنسبة لى بمثابة القدر الذى لا مفر منه ، وقد حاولت التهرب من الجلوس بجانبه فى بداية العام ، وبالفعل إستطعت خداعه فى البداية ، ولكنه ساوم رفيقى الجديد على مكانه وقد وافق هذا الوغد ..

رن جرس الفسحة أخيرا ، فذهبت إلى حوش المدرسة لاستنشاق الهواء النقى ، فقد كدت أن أختنق من أنفاس ورائحة العرق لهؤلاء الحمقى ، وبالطبع كان برفقتى ظلى وقدرى المحتوم صديقى بالإكراه (بكر) ، وكان ممسكا بكيس الساندويتشات الخاص به ، حيث أخرج أحد الساندويتشات وهم بتناوله .. وقبل أن يصل إلى فمه إختطفه أحدهم ولاذ بالفرار ! ..

لقد كان السارق هو (عبده) ، لص الساندويتشات فى المدرسة ، وهو تلميذ فى الصف الرابع ، ينتمي إلى عائلة ميسورة الحال ، وكان إختطاف الساندويتشات بالنسبة (لعبده) ليست هواية يتسلى بها ، بل كان مرض وداء عضال عجزت كل الطرق فى علاجه سواء عن طريق العلاج النفسى أو العقاب ..

وكان (عبده) يخطف الساندويتشات بخفة يد رائعة ، وبمجرد أن يخطفها يضعها فى فمه بسرعة حتى يهيئ لك أنه يخطفها بفمه وليس بيده ! ..

وقد تفهمت إدارة المدرسة حالة التلميذ وإتخذت الإجراءات اللازمة ، فأصدرت بيانها العاجل بأنه .. على جميع التلاميذ بالمدرسة أن يتوخوا الحذر ، وعلى كل من يفقد ساندوتشاته ألا يتقدم بشكوى إلى إدارة المدرسة لإستعادة الساندويتشات أو معاقبة (عبده) .. يعنى بالبلدى كده .. << كل واحد ياخد باله من ساندوتشاته ، واللى ساندوتشاته هتتاخد ملناش دعوة >> .. حتى وصل الأمر أنه حين يذهب أحد الطلاب لشراء ساندوتش من كانتين المدرسة ، فيقوم (عم محمد) الفراش بإعطائه الساندوتش محذرا إياه ..

إحترس من (عبده) !!! ..

فلم أكن أستبعد حينها أن أذهب يوما إلى المدرسة لأجد مكتوبا على مدخل المدرسة بجانب عبارة .. << مدرستى نظيفة / حافظ على نظافة المدرسة / تحيا مصر / مصر هى أمى / و .. إحترس من عبده >> ومع كل هذه الحيطة والحذر ، ومع كل تلك التعليمات والتوجيهات ، إلا أن الله لا ينسى (عبده) أبدا ، فيرزقه كما يرزق الطير ، حيث يخرج إلى الفسحة خماصا ويعود منها بطانا ، رغم كيد الكائدين ..

وفى يوم من الأيام حدثت فى المدرسة ضجة كبيرة وجلبة ! ..
لقد سرق (عبده) ساندويتش الجبنة الرومى للأستاذ (صابر) ! ..
والأستاذ (صابر) هو رجل بدين ، بينه وبين الطعام عشق من نوع فاضح ..
فتراه أثناء تناوله لطعامه يتأمل الساندويتش فى يده ويهيم معه لينعزل به فى عالم خاص ليس فيه سواهما ، ويظل يداعبه ويغازله بأنامله ، ثم يراوده عن نفسه فيستسلم الساندويتش له طوعا ، فيميل عليه ليقبله فى شوق ، فيأخذ منه القطمة تلو الأخرى ، حتى يمتزج ويتداخل المعشوقان ، ويملأ بالحب والعشق بطنه ، ثم ينتشر ويجرى فى عروقه ودمه ، فيداعب الحب كل خلية من خلايا جسمه ، ثم يدخل الحمام عفاكم الله ويتخلص منه ، ليبدأ بعد ذلك قصة حب أخرى جديدة ..

وعلى ما يبدوا أن ساندويتش الجبنة الرومى هذا كان هو المفضل بالنسبة للأستاذ (صابر) وكان يدخره ليختم به وجبته ، فأخذ المدرسين يهدئون من روع الأستاذ (صابر) وغضبه ، وكلما نجحوا فى تهدئته ثار من جديد حين يداعب مخيلته طعم

ورائحة ساندويتش الجبنة الرومى الذى حرمه منه ذلك اللص اللعين ، فقال له ناظر المدرسة متسائلا .. ولماذا لم تأخذ الحيطة والحذر يا أستاذ (صابر) وأنت تتناول طعامك ؟ .. فأجابه فى تأثر .. لم أكن أتخيل أنه يجرؤ على فعلها معى ! .. قال له الناظر مستنكرا .. يا أستاذ (صابر) أنا ناظر المدرسة وحين أتناول طعامى وفى مكتبى ألتفت حولى خشية أن يغدر بى عبده ! ..

وكنت أقف بعيدا أراقب الأحداث بشغف وعينى لا تفارق (عبده) الذى يقف متواريا فى ذعر خلف أحد الأساتذة خوفا من أن يبطش به الأستاذ (صابر) ، ويفتح له (كرشه) ليستخلص ساندويتش الجبنة الرومي منه ! ..
لم أكن أنظر لهيأته قدر ماكنت أنظر لداخله متعجبا .. كيف لهذه النفس البشرية المعقدة أن تتحكم فى صاحبها وتجبله على الإنصياع لرغباتها متحدية كل العواقب والمخاطر والتهديدات ؟! ..
كيف عجز كل من الطب والعصا على تطويعها وإصلاحها ؟! ..
أيكون هذا لأن الجميع مجرد حمقى ؟ ..

وفى اليوم التالى رن جرس الفسحة فتوجهت إلى حوش المدرسة برفقة ظلى وقدرى صديقى (بكر) ، فأخرجت ساندويتش من الكيس الذى كنت أحمله وهممت بتناوله ، فإذا بأحدهم يختطفه بخفة يد مدهشة ويلوذ بالفرار ، وما أن إبتعد لبضع خطوات حتى توقف وألقى به أرضا وبدأ بالتقيؤ والصراخ ..

لقد كان هذا (عبده) كما تعلمون ، وأظن أنه تقايأ فى ذلك اليوم كل لقمة قام باختطافها منذ ولدته أمه ..

رجع صديقى (بكر) بعد أن تحرى الأمر لينظر إلي فى ذعر قائلا ..

<< أقسم أنك شيطان مبين >> .. كيف لك أن تعطيه هذا الشئ ؟! ..

فقلت .. أنا لم أعطه شيئا ، بل هو من إختطفه منى أمامك بينما كنت سأتناوله أنا ! .. فقال مستنكرا .. أكنت ستأكل ساندويتش مليئ بالديدان والصراصير أيها (الشيطان) ، قلت .. وما الغريب فى ذلك ؟.. فهذا هو الطعام المفضل بالنسبة (للشياطين) ياصديقى ، وقد وقع ذلك اللص فى شر أعماله ..

وفى اليوم التالى أتى مدير المدرسة إلى فصلنا بصحبة ولى أمر (عبده) ، حينها إبتسم (بكر) وهمس قائلا .. والأن أرنى كيف ستفلت من العقاب أيها الشيطان ؟ ..

قام المدير باستدعائى بالإسم ، بعد أن أخبروه أولاد الحلال أننى أنا الفاعل ، فخرجت إليه وقد ساد الهدوء والترقب المكان ، حيث تساءل المدير فى غيظ .. –

<< أنت من أعطيت هذا الشئ ل (عبده) ؟! >> ..

– << لا ، بل هو من إختطفه منى كعادته >> ..

– << بل أنت تعمدت أن توقع به .. فلماذا ؟ >> ..

– << أردت فقط أن أقدم يد المساعدة >>

- << وكيف ساعدته فى نظرك بفعلتك هذه ؟! >> ..

- << إنه مريض وأظننى كنت أمتلك دوائه >> ..

وهنا قطع والد (عبده) الحديث قائلا ..

- << أتسمى ساندويتش مليئ بالصراصير والديدان والحشرات دواء ؟ >> ..

- << لكل داء دواء ، والدواء الجيد دائما يكون مذاقه مر ، وعلى المريض أن يتجرعه ويتحمل مرارته كى يبرأ من سقمه ، وأظن الأن أن (عبده) قد برأ من سقمه ومن أول جرعة أخذها >> ..

فارتسمت على وجهه إبتسامة وتوجه إلي ليضع يده على رأسى قائلا ..

- << أنت لست بطفل بريئ كما يبدوا عليك .. أنت (شيطان ياصغيرى) ولكننى أحببت صنيعك ، فقد أسديت لى معروفا قد عجز كل من الطب والعصى على تحقيقه ، وأظننى أصبحت الآن مدينا لك أيها (الشيطان الصغير) ..

ثم إنصرف الرجل وعلى ما يبدو من قسمات وجهه أنه سعيد وراض عما حدث ، بينما ظل المدير واقفا مكانه يرمقنى فى صمت ، فقلت له متسائلا ..

- << أتسمح لى بالدخول حضرة المدير .. أم تريدنى فى شئ آخر ؟ >> ..

- << لا أنا فقط أتسائل متى ينتهى هذا العام لأتخلص منك ؟ >> ..

وحين أذن لى بالدخول استقبلنى (بكر) بقوله .. لقد إتضح لى أن وصفى لك بالشيطات إنما هو نعت للشيطان وليس لك ياصديقى ..

لم أرد عليه فقد كنت حينها أنظر إلى اللوحة المعلقة على الحائط فى ثبات ! .. هناك خطب ما ! .. أشعر بحدوث شئ ما قد رأيته من قبل ! ..

فتسائل (بكر) ماذا هناك ؟ .. وقد بدأت علامات التوتر تظهر على وجهه ونبرة صوته ، فبكر يعلم فى قرارة نفسه أن ورائى خطب ما ، ربما ذات يوم رأى منى شيئا غريبا جعله يظن أننى مختلف ، لهذا كان حريصا دوما على مرافقتى كالظل وكان يعد على أنفاسى ويراقب كل تصرفاتى وأفعالى ، كأنه كان ينتظر يوما ما يكتشف فيه أننى كائن فضائى متنكر فى هيئة انسان ! ..

وإزداد توتر (بكر) حين لم أرد عليه للمرة الثانية ولم أرفع بصرى عن الموضع الذى أنظر إليه ، فجذبنى من زراعى بشئ من العنف وكأنه يحاول إخراجى عن حالة التيبس التى تملكتنى حينها للحظات ، وأعاد على السؤال .. ما الأمر ؟! .. فأشرت إلى اللوحة على الحائط قائلا .. إنها اللوحة هناك ! ..

فقال .. مابها ؟! .. قلت .. لقد رأيتها من قبل ! .. قال .. وماذا في ذلك فهى هناك منذ بداية العام ؟! .. قلت .. لا الأمر ليس على هذا النحو لقد .... وهنا سمعنا صوتا غريبا مرعبا ، كأنه صوت لطائرة هليكوبتر تسقط فوق رؤوسنا تماما ، فانخفضنا برؤوسنا ناظرين إلى السقف ، ولكن لم يكن هذا

الصوت المفزع مصدره من السماء ، بل كان مصدره من الأرض تحت أقدامنا ، وصاحب هذا الصوت هزة أرضية عنيفة ، تشقق لها الجدار وإهتزت اللوحة المعلقة عليه بعنف وسقطت على الأرض من فورها ..

عمت الفوضى أرجاء المكان ، وأمر المدرسين التلاميذ بسرعة الخروج والوقوف فى حوش المدرسة بعيدا عن الجدران والأسقف ، ثم جاءت الأخبار من الخارج أن المدرسة الإبتدائية بالقرب من مدرستنا قد إنهار جزء منها وهناك أطفال تحت الأنقاض ، حينها إنفجرت عينى الأستاذ طايع بالبكاء وخرج يهرول كالمجنون فى إتجاه المدرسة التى أتانا خبرها ! .. رأيته حينها كأب فقد أبنائه وفلذات أكباده .. فتعجبت من أمره ! .. كيف إستطاع أن يخفى كل هذه المشاعر والرحمة والأبوة خلف قسوة خرزانته العينة تلك ؟! ..

كنت أظن أننى على دراية بمعادن الناس من حولى ، فكيف لم أرى هذا الجانب الرحيم فيه من قبل ؟! ..

عدت إلى منزلى وبدأت أهيئ نفسى للنوم ومقابلة هذا الزائر الغريب فليس بيدى حيلة لمنع حدوث ذلك ، فمن منكم يستطيع ألا ينام ؟.. فأنا مكره على لقاء هذا الكيان كل ليلة ، كما أنا مكره على مصاحبة (بكر) ذلك الصديق المتطفل الكئيب ..

وها هو الشيخ الأشيب كما تعودت على رؤيته ، ببشاعة هيئته ونظراته المؤلمة وصمته وغموضه ، وهناك صوت كزمجرة أو هدير لأحد هذه الكلاب السوداء المرعبة التى شاهدتها بصحبة هذا الشيخ الأشيب من قبل ، إنها قريبة جدا منى وكأنها تحت قدمى تماما ! ، ولكنى لا أرى شيئا ، فقط أرى هذا الأشيب أمامى والظلام يحيط بنا من كل إتجاه فى هذا الفلاء الخالى تماما من أى شيئا سوانا نحن الإثنين .. إذا من أين يأتى هذا الصوت الذى يزلزل كيانى ؟! ..

أخذت أجول ببصرى بصعوبة قدر إستطاعتى وقدر ما هو مسموح لى .. فلم أرى شيئا بينما الصوت يعلوا وينذر بوقوع أمرا كارثى .. وهنا أظلم المكان من حولى ولم أعد أرى أى شئ ، ثم عادت الرؤيا من جديد لأجد نفسى داخل حجرتى مستيقظا وقد عدت إلى جسدى ، واذا بى أرى (أمى) واقفة عند باب حجرتى جاحظة العينين فى ذعر ورهبة ، بينما مازلت أسمع زمجرة هذا الكلب فى أذنى ! .. كيف لا أزال أسمع تلك الأصوات بعد عودتى إلى الجسد ! ..

الصوت قريب جدا منى ! .. إنه إذا معى فى الغرفة ! .. بل إنه بالفعل يقف بجانب سريرى ! .. ينظر ناحية (أمى) متحفزا ومتهيأ للإنقضاض عليها ! ..

بينما لاتزال هى واقفة متصلبة عند مدخل الغرفة بتلك النظرة الغريبة ولم تحرك ساكنا ! ..

كشر الكلب عن أنيابه وبدأ فى التحرك ، فأخذت (أمى) تتراجع للوراء ببطئ ، بينما أحاول التحرر من تلك القيود اللعينة التى تكبلنى وتشل حركتى ! ..

حاولت الصراخ لطلب المساعدة ولكن صوتى لا يفارق حنجرتى ! ..

بدأت فى التحرر من قيودى بينما أشعر بالدماء تفور فى رأسى وتكاد عينى تنفجر من شدة الضغط الواقع عليها .. ولكنها (أمى) .. تراجعت هى باتجاه غرفتها ولكنها لم تدخلها ! .. لقد دلفت إلى الحمام بجوار غرفتها ! ..

بينما الكلب يسعى فى طلبها .. وبصعوبة تمكنت أخيرا من الوصول لسرير أخى حاولت إيقاظه ليدرك أمى فمازالت تلك القيود تشل حركتى ، ولكن دون جدوى ، إنه يرقد كما الأموات غير مستجيب لمحاولاتى ! .. فاستجمعت كل قوتى متوجها إلى غرفة أبى لعله يدرك (أمى) .. أشعر بالدماء تسيل من أنفى ورأسى تكاد تنفجر ! .. ولكنها أمى .. زادت حدة زمجرة الكلب وقد دلف إلى الحمام حيث دخلت أمى .. تمكنت أخير من الوصول إلى غرفة أبى ..

فإنها أمى .. فتحت باب الغرفة بصعوبة بالغة مستجمعا كل ما تبقى لى من قوة لمقاومة تلك القيود التى تكبلنى ، حينها تصلب الدم فى عروقى ، وسرت القشعريرة فى جسدى .. إنها (أمى) كانت هناك بجوار أبى !!! ..

وهناك عند الزاوية فى حجرتى ظهر الشيخ الأشيب ، والكلبان الأخران عند مدخل الغرفة متجهان إلى الحمام .. فدلفت الى الغرفة وأغلقت بابها ، ولكن لم تعد قدماي حينها قادرة على حمل جسمى ، فزحفت حتى وصلت إلى جانب السرير بجوار أبى ، وأخذت وضع القرفصاء منكمشا على نفسى ، فقد بدأ صراخ هذا الكيان شبيه أمى من داخل الحمام يصم أذنى ويزلزل كيانى ..

أنا الأن أسمع وأرى هذه الأطياف والكيانات فى يقظتى وأنا مقترنا بجسدى ؟! ..
فلماذا لا يستيقظ الجميع ؟! ..
كيف لا يسمعون هذا الصراخ ؟! ..
لماذا أنا وحدى ولا يجيرنى أحد ؟! ..

يجب أن ينتهى هذا الأمر .. سأواجه مخاوفى ولن أدع الخوف يتملكنى ..
سأظل صلبا كما هو أنا .. وكما يجب أن أكون .. لن أدعهم ينالوا منى مرة أخرى وإما أن أنهى هذا الأمر أو أهلك دونه ..

****

الفصل الثاني
مصير مجهول

١- الملعون :

لقد مضت عدة أعوام لا أتذكر من أحداثها أى شيئ وكأننى لم أعيشها من الأساس ، فتلك هى مدرستى الإعدادية حين أمر عليها أنظر لها فى حيرة وتحسر ، لقد أمضيت هنا ثلاث أعوام !! .. كيف كانوا ؟! .. من صاحبت ، ومن خاصمت ؟ .. وأين صديقى (بكر) ؟! .. كيف تخلصت من هذا الكئيب ؟! ..
لقد حسبت أنه كالقدر لا يسعنى التخلص منه ! ..

وفى طريق عودتي إلى المنزل رأيت ذلك الملعون يهرول ممسكا بفكيه فردة حذاء لأحدهم ، و .... هل ما لاحظته صحيح ؟! .. لقد .. لقد كان الكلب يبتسم أوو .. يضحك .. هل يعقل هذا أم أننى قد فقدت عقلى أخيرا ؟! ..

وحين دخلت إلى المنزل كان أحدهم يصرخ فى عصبية مفرطة قائلا ..
<< أقسم أننى سأقتله لكم .. أقسم أننى لن أفلته .. أقسم .. وإلخ >> ..
لقد كان هذا (عم جابر) فلا تنزعجوا ، إنه رجل طيب وودود ، ولابد أن هناك خطب ما غير الذى دار فى مخيلتكم ، فأنا لم أعد ذلك الشيطان الصغير كما فى

الماضى، لقد كبرت الأن وأصبحت شيطانا كبيرا ، ولم تعد هذه الأفعال الصبيانية تليق بى .. ولكن هناك شيطان آخر فى المنزل هو من يتولى مثل هذه الأمور ..

توجه إلي أبى فور رؤيته لى قائلا .. إبحث عن هذا الملعون وأحضر الحذاء قبل أن يمزقه فإن عمك (جابر) سوف يفضحنا فى الحى كله ..
فذهبت مسرعا حيث أعرف أين أجده ، وفور رؤية الكلب لى أخذ فى النباح المتصل ، وهذا يعنى أنه معترض ، ولكننى لم أبالى به وإنقضت عليه منتزعا الحذاء لأجده قد مزقه بالفعل .. أخخخ .. فالتختفى أيها الأحمق عن الأنظار فإن لم يقتلك عم (جابر) فسيقتلك أبى حتما .. أخذت الحذاء وهممت بالإنصراف حينها أخذ الكلب فى النباح المتقطع ، وهذا معناه أن ذلك الملعون يسبني .. لذا كنت أرد عليه كل نبحة بقولى .. أهو إنت .. أهو إنت ..

فأنا أتذكر يوم أن وجدنا هذا الكلب أنا و (بكر) .. كان حينها جروا صغيرا ملقى فى الشارع ، فقررت أن آخذه معى إلى المنزل وأتولى رعايته ، حينها قلت ل (بكر) أظن أنه سيكون كلبا جيدا ، فرد علي قائلا .. بل أظن أنه سيكون كلبا ملعونا .. فسألته عن وجهة نظره فقال .. وما ظنك بكلب يربيه شيطان مثلك ، ماذا عساه أن يصبح غير كلب ملعون ؟ ..

رحم الله أيامك أيها الصديق الكثيب ، فلو كان متواجدا معي الأن وشاهد بعينه ما أصبح عليه الكلب .. لقرأ علينا آية الكرسي وأحرقني أنا وهذا (الملعون) فى الحال ، فقد كان الكلب لديه خصلة مشابهة لخصلة (عبده)

لص الساندويتشات فى المدرسة الإبتدائية .. فكان الكلب سارق للأحذية ، وليست كل الأحذية ، فقط أحذية الضيوف .. ولم يكن من عادته أن يمزقها بل كان يحتفظ بها ، بخلاف حذاء عم (جابر) بالطبع ، فكان بينه وبين عم (جابر) ثأر وحساب يسويه معه .. فعم (جابر) ضيفا ذو خبرة قديمة ومخضرم ، فكان فور دخوله منزلنا يتأبط حذاءه ولا يفلته .. وأتذكر أنه فى أحد المرات جاء لزيارة أبى فكان يجلس بجواره ممسكا بحذاءه ، وكانا يتحدثان فى أمر هام ، بينما أخذ الكلب يغدو ذهابا وإيابا خارج حجرة الجلوس كالمجنون ..

وكان عم (جابر) يختلس النظر اليه من حين لآخر ، وفجأة قطع عم (جابر) حديثه الهام هذا مع أبى لينظر إلى الكلب وببتسامة ماكرة وخبيثة قال له ..

<< ريح نفسك مش هفلته من إيدى >> .. فأمطره الكلب حينها بوابل من النباح المتقطع والذى إستقبله عم (جابر) بابتسامة ساذجة تجهل حقيقة ما تتلقاه من سباب وإهانات ، فلم يكن أحد يعلم بحقيقة النباح المتقطع هذا غيرى ، فلو علم أبى فحواه لقتله وقتلنى معه منذ زمن ..

أخيرا دخلت إلى حجرتى .. لا تنزعجوا من تلك الأصوات إنها زمجرة كلاب الجحيم تلك ، فقد أصبحت ترافقنى وتقيم معى فى حجرتى ، وكما تسمعون قد أصبحت أصواتهم مسموعة للجميع ، لذا لا يقرب أحد هذه الغرفة مطلقا ، فقد تغير الوضع كثيرا كما أخبرتكم ، ولم يعد يزعجنى تواجد ورؤية هذه الكلاب فهى هنا لحراستى على أى حال ، فهناك العديد من الكيانات الأخرى تسعى للنيل منى ، ولولا تواجد هذه الكلاب لكنت الأن فى عتاد الموتى ..

وأشد هذه الكيانات خطورة وإصرارا على النيل منى تلك التى على هيئة الجمل ، فأتذكر أن أول مرة هاجمنى فيها هذا الكيان كان حين أتممت سن البلوغ مباشرة ، فكان هذا اليوم بمثابة إنتقالة نوعية للأحداث بالنسبة لى ولكل من حولى .. لقد كان جملا هائجا ، عظيم الهيئة ، يصدر صوتا كالرغاء أو الهدير عالى وشديد النبرة .. فإن كان صوت الكلاب انخلع له قلبى فيما مضى ، فصوت هذا الكيان تنخلع له روحى ..

لقد ركض هذا الجمل نحوى فاتحا فاه مصدرا هذا الصوت المرعب كما لو كان وحشا من وحوش الأساطير القديمة ، وكنت حينها حر الحركة ، فلذت بالفرار والنجاة بروحى ، وظل هذا الجمل يلاحقنى حتى كاد أن يدركنى ويفتك بى لولا هذه الكلاب ، فقد رأيتها تقابلنى مسرعة ومتهيأة للقتال ..

وكانت هذه هى المرة الأولى التى أستبشر فيها لرؤية هذه الكلاب ، حيث هاجمت هذا الكيان الهائج بلا تردد ومن ثم فقد أنقذتنى من الموت ..

ومن بعيد رأيت العديد من هذه الجمال الهائجة المهيبة تركض نحوى مصدرة هذا الصوت المرعب ، وحينها هممت بالفرار من جديد ، إلا أن حركتى قد قيدت مع ظهور الشيخ الأشيب من جديد فهذه علامته .. لقد ظهر ومن خلفه الظلام ، حيث خرج من هذا الظلام المئات من هذه الكلاب تركض مباشرة نحو تلك الوحوش الغاضبة .. كانت ملحمة مرعبة شاهدتها للحظات قبل أن يسحبنى شيئا ما بقوة وعنف من داخل ذلك الظلام ، فغلت وفارت الدماء فى رأسى وأحسست وكأن روحى تنتزع ، وكاد قلبى أن يتوقف عن الخفقان ... أاااااااااه

كانت صرخة مدوية أطلقتها أيقظت الجميع وأصابتهم بالهلع والذعر ،
ليس فقط جميع من فى المنزل .. بل إستيقظ الجيران أيضا وتعالت أصوات نباح الكلاب التى تجمعت من جميع الأحياء المجاورة أمام منزلنا فى هياج إستنفر الجميع وأخرجهم من منازلهم مذعورين ، ولم أستطع هذه المرة أن أخفى حالة الفزع والخوف التى تملكتنى عن من حولى ..
ومنذ ذلك اليوم وأصبحت غرفتى محرمة على الجميع دونى ، فبمجرد الإقتراب من محيطها تتعالى أصوات النذير ..

لقد حاول الجميع حينها مساعدتى دون جدوى ، حيث أحضر لى أبى مجموعة من المشايخ المعالجين ، فسقط أحدهم فى حالة صرع فور دخولهم المنزل ولاذ البقية بالفرار ، وأعلنوا عدم قدرتهم على مواجهة هذا الشئ المجهول !!! .. وحين تملك اليأس من الجميع إضطروا للإستعانة بأحد هؤلاء الرجال الملاعين من الدجالين .. وحين أتوا به وقف أمام المنزل لبعض الوقت ثم إنصرف رافضا الدخول دون أن يوضح سببا لذلك ! ..حتى حين ذهبوا بى إلى منزله إنتفض من مكانه فور دخولى عليه الحجرة وكأننى الموت جاء ليطلبه ، فأمرنى بسرعة مغادرة بيته دون أن يوضح أيضا سببا لذلك !!! ..

لقد أصبحت منبوذا بين الجميع ، فالكل أصبح يتجنب حتى النظر إلى وجهى ، لقد هجرنى الأصحاب والأحباب ، وتدهورت حالتى كثيرا حيث ضعفت ذاكرتى لدرجة أننى بت أحمل فى جيبى ورقة مكتوب فيها أسماء عائلتى وكل من أتعامل معهم من حولى ، فأطلع عليها كل يوم كى لا أنسى أسماءهم ! ..

وأما بالنسبة للدراسة فهذه هى السنة الرابعة لى علي التوالي فى الصف الثانى الثانوى ، حيث بدأت فى فقدان الذاكرة حين وصلت لهذه المرحلة من التعليم ، ولم أعد ألتحق بأى من المدارس العامة أو الخاصة ، فلم يعد الوضع يسمح بذلك فبت أدرس فى المنزل ..

إستقر الوضع على هذا الحال وتعايشت وتعايش من حولى معه ، فأنا كما ترون أصبحت بلا مستقبل بل وبلا حياة ، وفى كل ليلة أذهب فيها للنوم أجهز نفسى لعلها تكون الأخيرة ، ومازلت لا أملك تفسيرا لكل ما يحدث لى حتى الأن ، ولكننى عزمت على فعل أمرا ما ..

ففى كل ليلة أرى فى نومى ذلك العقار رقم (١٠١) ..
إنه العقار الأشهر فى بلدتى ، فقد تداول الناس عنه العديد من القصص والحكايات المرعبة ، وهو عمارة سكنية كان يسكن فى أحد شققها إمرأة أم لطفلتين ، وقد قتلت طفلتيها ثم قتلت نفسها حين هجرها زوجها ، ومنذ ذلك الحين يسمع الناس صراخ وبكاء الطفلتين والمرأة عند منتصف اليل من كل ليلة .. فغادر السكان العقار وأصبح الأن مهجورا ..

كنت أرى ذلك العقار بوضوح ، بل وكنت أرى تلك المرأة وطفلتيها واقفين عند أحد النوافذ ينظرن إلي وكأنهن يردن إخبارى بشئ ما ، ولكن هذه الجمال اللعينة لا تمهلنى أبدا ، حيث تظهر فجأة من حيث لا أدرى وتبدأ فى ملاحقتى ، ولذلك قررت أن أزور ذلك العقار ، فإما أن أجد فيه خلاصى وتنتهى معاناتى ، وإما أن أجد فيه هلاكى وتنتهى أيضا معاناتى ..

****

٢- العقار رقم (١٠١) :

إنه مساء الأربعاء حين جائنى صديقى الوحيد (عرفة)
والذى صراحة لا أتذكر أين ومتى صادقته ؟! ..
ولماذا لم يهجرنى إلى الأن كما فعل بقية الأصدقاء ؟ ..
فإن كل ما أعرفه عنه أن إسمه مدون فى الورقة التى أحملها فى جيبى وأمامه علامة استفهام ؟ .. على أى حال أنا لم أعد أشغل بالى بتذكر أى شئ ، فقد إعتدت على مقابلة أحدهم لى بالترحاب والتهليل من حين لآخر أثناء سيرى فى الطرقات فأقابله بالمثل دون أن أعرف من هو وأين تعرفت عليه ..

(فعرفة) كان طالب جامعى ولابد أنه أحد أصدقاء هذه الفترة الممحاة تماما من سجلات ذاكرتى .. وقد إعتاد أن يأتينى كل ليلة ليذاكر معى ، كما كانت هذه هي عادته معى فيما مضى على حد قوله ، وكان يسعدنى قدومه فهو كل ماتبقى لى من الأصدقاء على أي حال ..

وكالعادة فها أنا أمسك بالكتاب محاولا أن أربط الكلمة بالكلمة التى تسبقها والتى تليها لعلى أخرج من ذلك بجملة مفيدة أنير بها ظلمات عقلى ، فعبثا أحاول أن أفعل! ..

بينما هذا الملعون يقلب الصفحة تلو الآخر أمامى دون توقف ، ثم توقف للحظة عن تقليب الصفحات وقال:

- << هل لى بسؤال ؟ >> ..

- << على الرحب والسعة تفضل ! >> ..

- << لماذا أرى عينك غريبة ومخيفة إلى هذا الحد ؟! .. حتى أننى لا أجرؤ على النظر إليها لفترة طويلة فى بعض الأحيان !! >> ..

- << إذا لا تنظر إليها ياصديقى وينتهى الأمر ! >> ..

ثم عاود تقليب الصفحات قبل أن يتوقف ويعاود السؤال من جديد قائلا ..

- << هل صحيح أنك متزوج من إحدى الجنيات الحسناوات ؟ >> ..

- << ومن أين لك بهذا القول ؟ >> ..

- << الجميع يتحدث عن الأمر .. يقولون أنها تسكن غرفتك ولا تدع أحدا غيرك يقربها .. أهذا صحيح حقا ؟ >> ..

وهنا نظرت إليه وقلت فى نفسى .. الأن حان وقت رحيلك أيها المتطفل الوقح

- << وهل يشغلك الأمر لهذا الحد ؟ >> .. قال .. << بالطبع نعم >> ..

- << وعن أى شيئ تريد أن تسأل بالتحديد ؟ >> ..

- << عن هيأتها وشكلها .. كيف تكون ؟ >> ..

- << يمكنك أن تنظر إليها بجانبك وتعاين بنفسك >> ..

هنا .. إتسعت عيناه ذعرا ، وتصلب جسده ، وتصبب جبينه عرقا .. فقلت :

- << هدئ من روعك ياصديقى فلا داعى لكل هذا الخوف >> ..

فهدأت نفسه قليلا وبدت إبتسامة طمأنينة ترتسم على قسمات وجهه ..

ثم أردفت قائلا .. << فأنت لا يمكنك رؤيتها بينما هى تحدق بك الأن >> ..

فعاد لحالته الأولى وزاد عليها اصفرار لون بشرته وشحوبها ..

فاسترسلت قائلا .. << أنا لا أعرف حقا سر إهتمامها بك لهذا الحد ؟! ..

فقد بدأت أغار منك بالفعل ياصديقى >> ..

فكادت عيناه أن تدمع .. حيث قال فى ذعر وبكلمات متلعثمة ومرتبكة ..

- << ما هذا الصوت ؟ >> .. فقلت .. << أي صوت ؟ >> ..

- << سمعت وكأن أحدا ينادى علي من بعيد ! >> .. فقلت .. << أحقا ؟! >>

- << نعم .. أقسم أننى سمعت ذلك >> .. فقلت له فى هلع ..

- << إذا إياك أن تجيب على هذا النداء >> ..

وهنا سقطت بعض القطرات من عينه رغما عنه ..

هممت بالوقوف وقد ملأنى التوتر والقلق حيث قلت له ..

- << قم الآن وسارع بالخروج من هنا حالا وإياك والعودة >> ..

فهب واقفا كالملسوع وقبل أن يغادر بادرته قائلا ..

- << (عرفة) عد إلى منزلك فى الحال وإياك أن تجيب على هذا النداء مهما حدث .. وفى الطريق إياك والإلتفات خلفك ، أو التوقف للتحدث مع أحدهم ، فإنهم

يطلبونك ياصديقى .. وحين عودتك إلى المنزل .. إن أتاك أحد من أهلك ليحدثك فانظر إلى عيناه أولا ، فإن لاحظت فيهما شيئا غريبا فلا تجيبه ، وإن اقترب منك حينها .. فدافع عن نفسك ياصديقى .. كان الله في عونك >> ..

فأسرع (عرفة) بالإنصراف بخطى سريعة ومرتبكة ، وما أن إبتعد عنى ببضع خطوات حتى عاودت مناداته من جديد ، فأخذ ينهب الأرض نهبا حتى توارى عن ناظري .. فقد كنت أنا من أنادى عليه .. فأنا أجيد موهبة التحدث من بطنى دون أن أفتح فمى .. فما من موهبة شيطانية كهذه إلا وكنت أجيدها حق الإجادة ..والآن وبعد أن تخلصت من آخر الأصدقاء ، يمكننى أن أذهب غدا لألقى حتفي بسلام ، فأظن أنه ما من أحد سوف يفتقدنى بعد الأن ..

وفي صباح يوم الخميس حيث عقدت النية على إقتحام ذلك العقار ، كان علي أن أختار الوقت المناسب حتى لا يرانى أحدهم عند الدخول ، فكان أمامى خيارين .. إما أن أذهب وقت الظهيرة حيث تكاد أن تخلوا الشوارع من المارة فى هذا التوقيت لشدة الحر ، أو أن أذهب فى ساعة متأخرة من الليل ..

فوقع إختيارى على وقت الظهيرة ، فكونى لم يعد لدى ما أخسره لا يعنى أن أقسو على نفسى لهذا الحد ..

وكنت متواجد فى غرفتى حيث تعالت أصوات زمجرة الكلاب من حولى ، حين إقترب أحدهم من الغرفة أكثر من اللازم .. وكانت هذه أمى .. ودون أن تغامر بالإقتراب أكثر ذلك قالت فى توجس ..

- << هيا يا بنى فقد إنتهينا من تناول الإفطار وأنت لم تأتى بعد !! >> ..

- << حاضر يا أمى فأنا قادم فى الحال >> ..

- << لقد قلت ذلك منذ ساعة تقريبا ولم تبرح مكانك بعد ! >> ..

- << منذ ساعة ؟! .. لم أكن أنا يا أمى إذا من أجابكى فى المرة السابقة >> ..

وهنا سمعت صوت خطوات مرتبكة تبتعد مسرعة عن الغرفة .. فقلت ..

- << تمهلى قليلا يا أمى ، فأنتى لم تتعافى بعد من سقطة الإسبوع الماضى >> لا أعرف حقا متى تعتاد أمى على هذا الوضع ؟! ..

وأثناء تناولى لفطورى إذا بأحدهم ينادى علي من الخارج ، فخرجت لأجده الأخ الأكبر ل (عرفة) وقد جاء يسأل عنه قائلا ..

- << هل بات (عرفة) عندك البارحة ؟ >> ..

- << لا .. فقد كان عندى البارحة وخرج عائدا إلى المنزل ..

هل حدث له مكروه ما ؟ >> ..

- << المجنون .. لقد لكم أباه على وجهه فور عودته إلى المنزل ليلة البارحة دون سبب ! .. وقد طرده أبى من المنزل >> .. فقلت .. << أوقد فعلها ؟! >> ..

- << نعم .. أتصدق هذا ؟! >> .. قلت .. << ولم لا .. فهو أحمق على أى حال >> فنظر إلي فى إندهاش ، فبادرته قائلا .. << لا عليك ، فأنا فقط أمزح >> ..

- << وهل تعرف أين يمكننى أن أجده الآن ؟ >> .. قلت .. << للأسف لا >> .. فشكرنى وانصرف يبحث عن أخاه ..

وفى الوقت المحدد من ظهيرة ذلك اليوم إستجمعت عزيمتى وغادرت المنزل مباشرة فى إتجاه العقار (١٠١) ، حيث لن أدع لنفسى مجالا للخوف والتردد ، فقد سئمت الحياة على هذا النحو ولابد لى من خلاص ..

كان الشارع خالى تماما من المارة ، غير أن هناك كشك صغير مفتوح فى الجهة المقابلة للعقار ، ولكنى لم أتردد حيث لن تتاح لي ظروف أو توقيت أفضل من هذا .. فدلفت مسرعا إلى مدخل العقار دون أن ألتفت حولى .. ويبدوا أن صاحب الكشك قد رآنى ، حيث أخذ يصيح فى قائلا ..

- << إرجع أيها الفتى .. إرجع أيها الأحمق >> .. فقال أحدهم ..

- << ما الأمر ياعم مصطفى ؟ >> ..

- << لقد دخل أحد الفتيان للتوه هنا وحاولت تحذيره لكنه لم يلتفت لى ! >>..

- << وهل أنت متأكد أنه فتى ؟ >> ..

- << بالطبع وهل ترانى قد عميت ؟ >> ..

- << لا ولكن ما من أحد فى البلدة إلا ويعرف بأمر هذا العقار ، ومن المستحيل أن يغامر أحدهم بالدخول هناك !! .. فاستعذ بالله وارجع إلى الكشك لعلهم (اللهم احفظنا) يتلاعبون بك ويستدرجونك للداخل >> .. << أعوذ بالله >>

أخذت فى الصعود على درج السلم متسائلا فى نفسى .. أكانت النافذة التى كنت أراهم ينظرون إلي منها فى الدور الرابع أم الخامس ؟ ..

ولكن حيرتي لم تطل كثيرا حيث وجدت باب الشقة مفتوحا بالفعل على مصراعيه فى الدور الرابع وكانت الأم وطفلتيها فى إستقبالى عند مدخل الباب .. وقفت للحظات حيث هالنى الموقف وانتابنى الخوف والتردد ، فلم تكن هيأتهم هكذا حين كنت أراهم فى نومى ! .. لقد كنت أرى إمرأة وطفلتين عاديين ، ولكن ما أراه الأن أمام عينى شئ آخر مختلف تماما ..

فالطفلتين كانتا منتفختا الوجه ويميل لونهما للون الأزرق ، بينما شفتاهما لونهما أزرق صريح ، يبدو أن المرأة قتلتهما غرقا ، بينما المرأة كانت الدماء تسيل من معصمها بغزارة ، فيبدو أنها هكذا قتلت نفسها أيضا ، كانت بشرتها شاحبة جدا ، بينما الدموع تنهمر من عيناها وهى تنظر إلي باسمة مستبشرة حيث قالت .. هلم إلينا فقد طال إنتظارنا لك كثيرا .. فتقدمت نحوهن بخطى ثابتة بعد أن ذكرت نفسى أنه لم يعد لدى ما أخسره ، وأننى جئت الى هنا بإرادتى بحثا عن الخلاص أيا كان ..

دلفت إلى داخل الشقة بينما المرأة وطفلتيها يتقدمننى بخطوات حيث أغلق الباب فور دخولى ، وجلست المرأة على كنبة الأنتريه فى الصالة ، فجلست بدورى على أحد المقاعد أمامها ، بينما الطفلتين فقد إستقرتا تحت قدماى ، حيث جلستا على الأرض ينظران إلي فى شوق وحنين غير مفهوم بالنسبة لى ،

وكذلك المرأة لم ترفع بصرها عنى مبتسمة بينما الدموع تنهمر من عيناها بلا توقف ! .. فحاولت أن أتغاضى عن أمر كلتا الطفلتين عند قدماى وقلت للمرأة .. – << أظن أن هناك ما تردن إخبارى به ولهذا جئت إلى هنا .. فما خطبكن ؟ >> – << نريد إخبارك بأننا فى حاجة إليك ، فنحن هنا منذ زمن بائسين مستوحشين بلا زائر ولا أنيس ، وقد تعلق بك أطفالى فور رؤيتهما لك وكذلك أنا ، فقد تعلقت بك كثيرا وأريدك زوجا لى وأبا لأولادى >> ..

– << وكيف يكون هذا ؟! .. فأنا لا أنتمى لعالمكم وأظنكى تعلمين ذلك ! >> ..

– << بل أنت لا تعلم شيئا عن نفسك >> ..

– << فأخبرينى إذا بما لديكى إن كنتى تعلمين شيئا عن أمرى >> ..

– << أنت تنتمى إلى العالمين ، فأنت الوحيد من بين الأحياء الذى يستطيع الولوج إلى عالمنا بينما لا يستطيع أقرانك فعل ذلك ، فأنت تفعل ذلك فى كل ليلة دون أن تشعر ، لذلك هم يسعون فى طلبك >> ..

– << ومن يكونوا هم ؟ .. وماذا يريدون منى ؟ >> ..

– << الشياطين من بني جنسنا يريدونك سفيرا لهم لعالم البشر ..

بينما مردة الجن وحراس الكنوز يريدون التخلص منك قبل أن تتم الصفقة بينك وبين الشياطين ويأخذوا منك العهد .. وهذا لأن كنوذهم بل وعالمهم بالكلية سيكون مستباحا لك فور إبرامك لهذا العهد ، ولن يستطيعوا إيقافك حينها ..

لذلك هم يسعون لقتلك بينما تدافع عنك الشياطين وتحميك >> ..

- << وهل لى فى ذلك من خلاص ؟ >> ..

- << لا أعلم لك خلاصا من هذا >> ..

- << الأن فهمت كل شئ .. أشكرك وأعدك أننى سأكون دائم الزيارة لكن لأونس وحشتكن من حين لآخر ردا لهذا الجميل >> ..

وهممت بالوقف ومغادرة المكان إلا أن الطفلتين أمسكتا بقدماى ، فأحسست ببرودة شديدة تسرى فى جسدى رغم شدة حر ذلك اليوم .. وقالت المرأة .. أنت لن تتركنا لأى مكان ، فأنت الآن زوجى .. وستظل معنا هنا للأبد ..

حينها سمعت صوت زمجرة الكلاب قادمة من إحدى الغرف ، فأسرعتا الطفلتين ليحتميا بأمهما ، حيث أحاطت بهما فى ذعر وانزوت فى أحد الأركان هناك .. وتعالت صرخاتهن بمجرد رؤيتهن للكلاب مكشرة عن أنيابها .....

- << ألم أقل لك ياعم مصطفى ؟ >> ..

- << أعوذ بالله ، انها المرة الأولى التى يحدث فيها الأمر على هذا النحو وفى هذا التوقيت من النهار ! >> ..

- << هيا فالتقفل الكشك وترجع إلى بيتك الأن >> ..

- << حاضر يا بنى حاضر >> ..

- << وأنتى أيتها الفتاة هناك .. إدخلى وأغلقى عليكى النافذة بسرعة >> ..

قمت من مكانى مسرعا للوقوف حائلا بين الكلاب الغاضبة وبين تلك المرأة وطفلتيها ، فقد رق قلبى وانفطر لهلعهن وصراخهن ، فمهما يكون كنه هذه الكيانات إلا أنني الأن أمام هلع وصرخات أم وأطفالها ..

فبدأت أشعر بالأثقال والقيود تتملكنى .. إنه ذلك الاشيب من جديد ، لقد ظهر عند أحد الأركان هناك ، فهذه هى علامته كما تعلمون .. وسمعت صوتا فى أذنى يشبه حفيف الثعبان .. فأظننى الأن قد فهمت سر هذه القيود العينة ، إنه إذا ثعبان ضخم يرافق ذلك الشيخ الأشيب ، وهو من يقيد حركتى فى كل مرة دون أن تراه عينى .. وقد أحكم الثعبان قبضته علي ، وبدأت الكلاب فى التقدم من جديد باتجاه الأم وطفلتيها الصارخين ، فجاهدت لأفتح فمى حيث خرجت منه الكلمات متثاقلة ، فقلت .. دعوهم وشأنهن وإلا فلا عهد بينى وبينكم ، فتوقف حينها الكلبين عن الزحف ، وفتح باب الشقة على مصراعيه من جديد ، وأفلتنى الثعبان من قبضته ، ففهمت أن علي إذا مغادرة المكان ..

فقمت وأنا أشعر بدوار وضغط رهيب على رأسى فقد كان الثعبان اللعين يعتصرنى ، توجهت فى تثاقل إلى باب الشقة والذى قد أغلق خلفى فور خروجى منه ، حينها توقف صراخ الأم وطفلتيها ، فنزلت إلى الشارع حيث وجدت الكشك قد أغلق وكذلك كافة النوافذ المطلة على الشارع ، وقد خلى الشارع تماما من المارة ، فأسرعت فى الإبتعاد قبل أن يرانى أحدهم ويفتضح أمرى ..

وأخيرا عدت إلى منزلى فكم كان الطريق إليه طويل جدا فى ذلك اليوم ، وحين دخلت إلى المنزل كان هناك أحدهم يصرخ فى عصبية مفرطة قائلا.. << أقسم أننى سأقتله لكم ، أقسم أننى لن أفلته ، أقسم .. إلخ >> .... ، فقد كان هذا (عم جابر) فلا تنزعجوا ..

****

٣- حوار مع شيطان :

صعدت منهكا إلى غرفتي وإرتميت على السرير من فرط الإجهاد ، فقد كانت تجربة اليوم قاسية جدا ، ومازلت لا أصدق أننى قد خرجت منها حى أرزق ، ولكننى على الأقل أصبحت الأن أعرف وأفهم ما يدور من حولى ، ويبقى على معرفة ما ينبغى علي فعله لأنهى ذلك الأمر ..

حينها سمعت طرقات على الباب .. فنظرت ناحيته متعجبا وتساءلت فى نفسى ترى من تجرأ على الإقتراب من الغرفة الى هذا الحد ؟! ..
وأين ذهبت تلك الكلاب ؟ .. فقلت فى ترقب .. تفضل ، وكان هذا أبي !!! ..
وقد زالت دهشتى سريعا حين وقعت عينى على عينه ، فأنا أعرف تلك النظرة جيدا وأعرف لمن تكون .. تلك النظرة التى تخترق جسمي وتوجعه ..
تلك الأعين العميقة شديدة السواد الخالية تماما من اللون الأبيض ..
إنه ليس أبى .. إنه ذلك الأشيب ، ولذلك لم تعترضه الكلاب ..

إقترب منى وكنت قد إعتدلت في جلستيي حيث كنت ممددا قبلها على السرير ، فجلس بجوارى تماما ، في حين أن المفاجأة قد أربكتني وشلت تفكيرى بل وحركتي .. ولكنني حينها تظاهرت بالثبات واللامبالاة ، وقد أحسنت فعل ذلك ..

- << كيف حالك بنى ؟ >> .. قلت .. << ما ورائك ؟ >> ..

- << لقد حان الوقت كى نأخذ منك العهد >> .. قلت .. << أى عهد ؟! >>

- << العهد اللذى يجعلك منا ونحن منك ، فكن معنا تكن لك المنعة والقوة والسلطة والمال ، وتكن بذلك سيدا بين العالمين >> ..

- << عن أى منعة وعن أى قوة تتحدث ؟! .. لقد دمرتم حياتى فلم يعد لى حياة ، وهجرنى بسببكم والأصحاب الأحباب >> ..

- << لولانا لتخطفتك مردة الجن ، ولغدوت من الأموات !!! >> ..

- << لولا سعيكم ورائى لما سعوا هم لقتلى .. أنا لا أفهم حقا ماذا تريدون منى ؟ كما أننى لا أرى لدى ما يثير إهتمامكم لهذا الحد ! >> ..

- << بل لديك الكثير ، ونحن نريدك معنا ، سفيرا بين العالمين ، ووسيطا بيننا وبين أتباعنا من بني جنسك >> ..

- << لماذا يكون هناك وسيط ؟! .. ولماذا أنا بالذات ؟! .. لماذا لا يكون غيرى ؟! كأن يكون أحد أتباعكم هؤلاء ، فهم أولى مني بذلك الأمر ؟! >> ..

- << لأنك هو بالذات من يصلح للأمر دونا عن غيرك .. فبنى جنسك محجوب عنهم عالمنا فلا يمكنهم رؤيتنا أو سماعنا بوضوح .. ولكى نتمكن من إختراق تلك الحجب يتطلب منا بزل الكثير من الجهد والعناء ، والقيام بطقوس معينة وفى ظروف خاصة >> ..

- << وكيف لي إذا رؤيتكم وسماعكم بينما يتطلب الأمر كل هذا العناء؟>> ..

- << لأنك مختلف >> .. قلت .. << وما الذى يجعلني مختلف ؟ >> ..

- << لأنك بالفعل تخترق تلك الحجب ! .. ولهذا أنت ترانى الآن وتسمعنى بوضوح دون عناء .. بل وتخترق أيضا تلك القوانين التى تحكم عالمنا المادي بأسره ! .. ونحن لا نعرف حقا كيف يحدث الأمر ! .. فما من أحد سواء من بنى جنسنا أو جنسكم حدث له الأمر قبل ذلك ، إللا وهلك أو علق إدراكه وفقد عقله

أما أنت .. فلا نعرف حقا كيف تنجو من ذلك ؟! >> ..

- << وعلى أي شئ يتبعكم أتباعكم من بني جنسنا ؟ >> ..

- << على التحرر .. على الخلاص .. على الحرية >> ..

- << التحرر .. والخلاص .. والحرية .. من ماذا ؟! >> ..

- << من العبودية .. من سطوة الإله >> ..

- << أتقصد ذلك الإله الذي عرشه فى السماء ؟! >> ..

- << ومن غيره ! >> .. قلت فى حنق .. << أى حمقى تكونون ؟! .. كيف لكم الخلاص من سطوة الإله وأنتم تسعون في ملكه وتحت عينه ؟! .. فهذه الأرض أرضه ، وهذه السماء سماءه ! .. ألا تتفكرون ؟ >> ..

– << ومن هذا كله نريد أن نتحرر .. فلا نريد سعيا على أرضه وعيشا تحت سماءه .. لانريد أن نكون تحت رقابته وقبضته ، يذل من يشاء ويعذ من يشاء .. نحن نريد التحرر من كل تلك القوانين والقيود التى تكبلنا .. فنحن سجناء فى فى كونه المادى هذا ونسعى للتحرر منه >> .. قلت .. << إلى أين ؟! >> ..

– << إلى حيث كنا قبل بداية الخلق >> ..

– << وهل كنا قبل ذلك إلا عدم ؟! وبأى قوة لديكم ستنالون حريتكم هذه؟ >>

– << بقوتنا وإرادتنا .. فنحن ألى بأس شديد وقوة >> ..

– << بقوتكم وإرادتكم ؟! .. أتقصد تلك القوة التى وهبنا الله إياها حين أوجدنا من العدم حيث لم يكن لنا إرادة ولاحول لنا ولا قوة ؟ .. أتريدون أن تحاربوا الإله بحوله هو وقوته ؟! .. ألهذا أهدتكم عقولكم ؟! >> ..

– << غريب أن يكون هذا قولك ، بينما أنت من بإمكانه التحرر بالفعل من كل هذا ؟! >> ..

– << ومن قال لكم أنه بإمكانى فعلها .. أو أننى أتحرر من الأساس ؟! .. إن كان الأمر يحدث بغير إرادة منى وينتهى كذلك بغير إرادتى ، وإن كنت لا أملك أن أمنع حدوثه من الأساس ، فعن أي فعل وعن أي إرادة تتحدث ؟! .. فإن كنت لست أنا الفاعل ولا أنتم فمن يكون الفاعل برأيك غيره هو .. إنه الإله الفاعل الوحيد في هذا الوجود حقيقة .. حتى ما ننسبه لأنفسنا من فعل أو إراده

فهو فيض من عطاء الإله لنا ، وهو أيضا فتنة لنا ليرى صنيعنا .. فإن كنتم تريدون فرارا من الإله ، فإنه لا مفر منه إلا إليه >> ..

هنا قام من مكانه غاضبا .. وأحسست حينها بضيق شديد في صدري ، وشعرت بحلول طاقة سلبية رهيبة ، قابضة للأنفاس تملئ أرجاء الغرفة .. حتى ظننت أنه ربما أفقد وعيي .. فظل واقفا فى صمت لبعض الوقت ، بينما جاهدت أنا كي أبدوا متماسكا .. ثم قال ..

- << أنت منا ونحن منك ، وأنت لنا شئت أم أبيت >> ..

- << لا أحد يرغمنى على فعل شيئ وأظنك تعلم عنى ذلك >> ..

- << إذا فليكن إنضمامك لنا عن طوع ورضا >> ..

هنا فكرت مليا ثم أردفت قائلا ..

- << قبل ذلك يجب أن أسترد حياتى التى دمرت بسببكم أولا ..

وبعدها أنظر فى أمر العهد بينى وبينكم >> ..

- << وكيف تريد أن يكون ذلك ؟ >> ..

- << أن تتركوننى وشأنى لفترة أستعيد فيها حياتى ، لا أريد أن أرى أو أسمع أو أشعر بما لا يراه ولا يسمعه ولا يشعر به الآخرون >> ..

- << لك ما طلبت وسيكون لنا ما نريده بعد حين >> ..

****

كنت أظن أن الحمق صفة لاتتواجد إلا فى بنى البشر فقط ، ولكن على ما يبدوا أنها صفة متفشية فى كلا الجنسين ، وأنا أجيد التعامل مع الحمقى كما تعلمون فالحمقى هم الحمقى جميعهم يتشابهون حتى وإن إختلفت أجناسهم ! ..

لم أجد سبيلا للتفاهم مع ذلك الشيطان ولم يكن أمامى غير الحيلة والمماطلة فكل ما أردته حينها هو هدنة أستعيد فيها حياتى الضائعة من جديد ..

فرأيت أن علي أن أظفر باليوم ، وأن أدع شأن الغد للغد ، لعله حين يأتى ذلك الغد أكون قد علمت ما ينبغى علي فعله حياله ، أو لعلى لا أدرك ذلك الغد من الأساس ! ..

وقد كان .. فقد صدق الأشيب وعده لى ، ولم أعد أر ى من حينها أى أطياف أو كيانات من عالم الجن أو حتى أشعر بوجودهم من حولى كما كان فى السابق ،

إلا أننى مازلت أرتقى وأتحرر من ذلك الجسد من حين لآخر ، إلى اللازمان واللامكان واللامنطق .. فهذا الأمر لا دخل لهم فيه كما لا دخل لى أنا كذلك .. ولكن يمكننى تحمل ذلك الأمر والتعايش معه ، فعلى الأقل لم يعد هناك من يطاردنى أو يسعى لقتلى .. وكان علي إصلاح كل ما أفسدته تلك الظروف ، سواء من ناحية علاقتي الشخصية بكل من حولى ، أو إكمال مسارى التعليمى ..

فبدأت أستعيد حياتى شيئا فشئ ، بعد أن قمت بإجراء بعض التعديلات الجزرية على شخصيتى .. فلم أعد ذلك الشخص الذى يحتقر ويسفه كل من

حوله ويرى أن الجميع دونه فى التفكير والتدبير والتعقل ، فلا وقت أضيعه فى هذا الهراء ، فجل همى هو إستعادة حياتى والتداخل والتصالح مع جميع من حولى بما فيهم هؤلاء الذين كنت أصفهم بالحمق فيما مضى ..

لم أعد أريد أن أكون مميزا وفريدا بعد الأن ، أريد فقط أن أكون واحدا من هؤلاء الناس وأن يكون لي حياة كما لهم حياة ..

أما بالنسبة للتعليم .. فقد تمكنت من اكمال تعليمى بعد أن إستعدت قدرتى على الحفظ والإستذكار شيئا فشيء ، وقمت بتحويل مساري التعليمى من الثانوية العامة إلى التعليم الصناعي ، وهذا لأننى كنت قد إستنفذت سنوات الإعادة المستحقة لى فى الثانوية العامة .. ومن خلال التعليم الصناعي تمكنت من الإلتحاق بإحدى الكليات التابعة لجامعة قناة السويس ببورسعيد ، لأبدأ بذلك عهد جديد ، بشخصية جديد ومختلفة تماما عن تلك الشخصية التى خلقتها وصنعتها ظروف غريبة وغامضة .. فقد بت شخصا ودودا يتسم بالمرح والتواضع وتقدير وحب الآخرين له .. وربما بالبلاهة والسذاجة إن لزم الأمر ..

****

الفصل الثالث
عودة الى الحياة

١- أسطورة حسن :

وفى بورسعيد تعرفت على ثلاث أصدقاء من القاهرة ، وكنا نسكن فى شقة أنيقة فى الحى التجارى هناك ، لا نرغب أن يشاركنا أحد فى السكن وخصوصا من أبناء المحافظات الأخرى ، وهذا للإختلاف والتباين فى طريقة التفكير وإسلوب الحياة .. وليس الأمر بالمقارنة أو المفاضلة ، ولكنه فقط الاختلاف ، وكما يقولون الطيور على أشكالها تقع ..

وفى يوم كنت أقف مع أحد الأصدقاء بعد إنتهاء المحاضرات فى حين جاءنا صديقنا (مصطفى) برفقته شاب ضخم الجثة (هيلمان) كما يسمونه ، قلما تصادف أن ترى مثل هذا العملاق فى حياتك ، فالبنسبة لى كان هذا النموذج هو الوحيد الذى حظيت بمشاهدته حتى الأن ..

هذا (حسن) .. هكذا قدمه لنا صديقنا (مصطفى) وإستطرد قائلا .. حسن زميل يكبرنا بدفعة وهو فى مشكلة ، فقد طرده أصدقاءه الأندال من السكن شر طردة فعند عودته من أجازته وجدهم قد غيروا كالون الباب وتركوا له رسالة يخبروه بعدم رغبتهم فى أن يسكن معهم .. وهو الأن لا يجد سكن ويستسمحنا فى أن

نستضيفه لبعض الوقت حتى يتدبر أمره ويجد سكن مع أحد المجموعات الأخرى، ولن يطيل علينا لعلمه بعدم رغبتنا فى أن ينضم إلينا وافد جديد ..

وأثناء حديث (مصطفى) لم تطرف عينى وأنا أنظر إلى (حسن) ، هذا الكائن العملاق ، قائلا فى نفسى .. سبحان من سخر هذا (الهيلمان) وجعله طوعا حتى يتجرء عليه شرذمة من الأقذام ! .. وما أن إنتهى صديقنا مصطفى من شرح ظروف حسن حتى كدنا أنا وصديقى أحمد أن نحتضن حسن ..
أقصد بعضا من حسن متأثرين لما لاقاه من أصدقاءه الأندال ..

وبالفعل إصطحبنا (حسن) معنا إلى السكن ، وبدأنا فى إعداد الطعام فقد أصبحنا بارعين فى هذا الأمر أو ربما كنا نرى أنفسنا كذلك ، وذلك بعد باع طويل وصولات وجولات فى المطبخ يطول سردها .. وأذكر منها أن أول مرة لى فى المطبخ قمت بغسل المعكرونة بناءا على توجيهات من صديقى البرم
(أحمد) ، والذى حصل على دروس فى الطبخ من والدته قبل مجيئه ..
حينها تداخلت حبات المعكرونة وإمتزجت مع بعضها لتصبح كتلة واحدة صلبة ، وأيقنا أنها لم تعد تصلح طعاما للدواب فضلا عن الإنسان ، فألقينا بها فى سلة القمامة ، وقررنا طبخ بعض الأرز عوضا عن المعكرونة ، فتلقيت حينها توجيه وتحذير شديد اللهجة من نفس الصديق البرم .. ألا أقم بغسل الأرز حتى لا يلقى

مصير المعكرونة ، مرددا فى ثقة أثقلتها الخبرة والتجربة أنه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، لينتهى الأمر بإلقاء الأرز فى نفس سلة القمامة مع المكرونة ..

وكنا فى رمضان حين قمنا بأستضافة الأخ حسن ..
(حسن) .. << مينفعش تقعد بالمنظر ده >> !! .. قلتها وأنا أنظر فى دهشة للأخ حسن الذى خرج علينا من الغرفة حرفيا (بالفانيلة واللباس) !! ..
بينما صديقاى ظلا صامتان من هول المشهد الذى يصعب وصفه لكم ..

فقال (حسن) .. وما المشكلة فى ذلك فنحن هنا رجال مع بعضنا ؟! ..
فرد عليه صديقى (مصطفى) والذى بلانا بهذا المخلوق قائلا .. (ياحسن) النوافذ مفتوحة وهناك جيران من حولنا فلا يصح أن يروا هذا المنظر !! ..
وبعد حوار طال بيننا وبين الأخ (حسن) إقتنع أخيرا بإرتداء السروال وظل بالفانيلة لعدم قدرته على تحمل الحر !! ..

وما أن بدأنا فى تناول الإفطار حتى تفاجأنا (بحسن) يأكل كما تأكل الوحوش فى البرية ، وكأنه آخر زاد له فى الدنيا ، وسرعان ما نفذ الطعام الذى طالما فاض قبل ذلك ومازلنا جوعى وكذلك الأخ (حسن) .. وفى اليوم الثانى قمنا بزيادة كمية الطعام ليتكرر نفس الأمر حيث نفذ الطعام ومازلنا جوعى وكذلك الأخ (حسن) ، فإقترح صديقنا (أحمد) فى ضيق أن نطلب من (حسن) المشاركة في تكلفة الطعام

فإن المخزون الذى لدينا لن يصمد طويلا بهذا الشكل ، فإعترض صديقنا (مصطفى) قائلا .. عيب عليك يا أخى فانه ضيفنا ونحن فى رمضان ألا تستحى ؟!

فتدخلت بدورى لأحسم الخلاف بينهما بإقتراح حيلة تمكننا من مجارات الأخ (حسن) ، حيث أنه لم يعد بإمكاننا زيادة كمية الطعام حسب الإمكانيات المتاحة لدينا .. وكانت الحيلة هى أن نخفى جميع الملاعق الكبيرة مدعين عدم إيجادها ونبقى على ثلاث ملاعق فقط ، بحيث يمسك كل منا بواحدة تاركين
له ملعقة الشاى الصغيرة ، وبهذا تتوازن المعادلة بيننا وبين الأخ (حسن) ..

وما أن وضعنا الطعام ووضعنا ملعقة الشاى الصغيرة أمام (حسن) حتى فطن لحيلتنا الساذجة تلك .. وإذا به يجنح على الطعام بكلتا زراعيه ليحتضنه منقضا عليه بلهفة غريبة مقرفة ، حتى أنه لم يجرؤ أحدنا أن يقرب حينها الطعام ولا (حسن) ، وكدنا أن نبكى حينها جواعا وقهرا ..

ولكن مهلا فاليوم يوم سعدنا ، فصديقنا العزيز (عمرو) عائدا إلينا من عند (أمه) حاملا معه البشرى والفرج ، طعاما حقيقيا طازجا .. فقد جرت العادة بيننا أنه فى حين عودة أحدنا من أجازته (من عند أمه) يأتى للبقية البائسة بهذا المدد ..

نزل صديقنا (أحمد) للبحث عن أى طعام يشتريه لنا فنحن لم نحظى بفطورنا بعد ولن نحتمل الانتظار لحين عودة صديقنا (عمرو) فى وقت متأخر فقد كدنا نموت جوعا ، ولم يمضى على نزوله سوى القليل حين سمعنا صوت صديقنا

(أحمد) صارخا وكأنه فى عراك مع أحدهم ، فأسرعنا إلى الشرفة المطلة على الشارع حيث مصدر الصوت ، فكان كما توقعنا ، شجار بين صديقنا وبين شاب من الباعة فى أحد محلات الحى التجارى .. والعراك فى بورسعيد على العموم لا يتعدى كونه شخص يقف متفوها بسيل من السباب واللعنات بلكنته الممطوطة تلك ، تماما كما صورها فيلم (أبو العربى) ، وشخص على الجانب الآخر يفعل المثل ، وبينهما خلق كثير ذو أصوات عالية وصاخبة وممطوطة أيضا لا تفهم من كثرتها وتداخلها وعلوها شئ ، وهؤلاء بالطبع هم ولاد الحلال المتطوعين لفض النزال ، أما عن صديقنا (أحمد) الفتى القاهرى المدلل ابن الناس فقد إقتصر رد فعله وسط كل هذا الصخب على قول وترديد كلمة << أهو إنت ... أهو إنت >>

فأسرعنا نتسابق على درجات السلم ننهبها نهبا لإدراك صديقنا والوقوف بجانبه ، فإندمجنا بدورنا وسط كل هذا الصخب والزحم ، إلى أن حدث أمر جلل أربك الجميع ..... لقد غضب (حسن) ..

كان عملاقا يشق طريقه وسط جمع من الأقذام ، دافعا كل عائق فى طريقه دفعا عن يمينه وعن شماله ، إلى أن أحكم قبضته على هذا الشاب الصارخ والذى إبتلع حينها لسانه ليعم الهدوء والإرتباك والترقب المكان ..

<< متموتوش ياحسن حرام عليك هتودينا فى داهية >> ..

قالها (أحمد) وهو متعلق بزراع (حسن) ، بينما وقف (مصطفى) محاولا فى ذعر أن يجعل من نفسه حائلا بين الفتى المذعور بدوره و (حسن) ، أما أنا فقد كنت واقفا خلف (حسن) يشغل تفكيرى وخاطرى شئ آخر ، فقد كنت أتساءل فى نفسى كيف لإنسان أن يزداد حجمه بهذا الشكل عند الغضب ؟! ..

وبعد أن أفقت من حالة الإندهاش التى تملكتنى مستدركا خطورة الموقف ، توجهت إلى (حسن) ممسكا بزراعة الآخر قائلا له بعفوية لا يخالطها التوتر والإرتباك .. (حسن) دعك من هذا وتعال نبحث عن طعام نشتريه فنكاد نموت جوعا يا أخى .. وبالفعل أخذت أعصاب (حسن) المشدودة فى الإرتخاء وأفلت الشاب من قبضته المحكمة ، وسار معى حيث كنت أعرض عليه إقتراحات ما يمكن أن نشتريه من طعام .. فكان الطعام هو الشفرة الوحيدة الصالحة لإمتصاص غضب (حسن) والسيطرة عليه ، فلربما كانت غضبته من الأساس سببها أنه وبعد أن إلتهم فطورنا بالكامل وكاد أن يلتهمنا معه مازال يشعر أنه جائعا !!! ..

وأخيرا وصل صديقنا العزيز الغالى عمرو فى وقت متأخر من الليل ، ليجدنا فى إستقباله بالترحاب والتهليل والإشتياق بشكل مبالغ فيه وعلى غير العادة ، مما أربكه وجعله يظن فينا الظنون ، فربما دبرنا له أمرا أو مكيدة ما ..

- << ها .. جبتلنا معاك إيه ؟ >> ..... << إستنوا عليا شوية لما آخد نفسى >>
- << تاخد نفسك إيه .. فين الأكل ؟ >> ..
- << أصبر يابنى إنت وهو شوية .. هو إنتم فى مجاعة ! .. أمى بعتتلكم معايا ديك أد كده يستاهل بؤكم >> ..

ولم يكمل صديقنا (عمرو) والذى لم يعد عزيزا علينا بعدها كلامه وإذا بالأخ (حسن) واقفا عند باب الغرفة ممسكا فى يده (بديك أم عمرو) قائلا ..
متى ستأكلون هذا الشئ فأنا أتضور جوعا ؟ ..

ولم يزد على هذا الكلام كلمة واحدة حيث خرج من الغرفة وفى يده (ديك أم عمرو) .. ليسود الغرفة بعدها صمت دام للحظات قبل أن يقطعه صديقنا الغير عزيز علينا بالمرة (عمرو) متسائلا فى دهشة ..
<< هو إيه ده ؟! >> .. فأجبته قائلا .. << ده حسن وديك أمك راح >> ..

وهنا إرتمى صديقاى (أحمد) و (مصطفى) على الأرض من فرط الضحك الهستيرى المخلوط بالأسى والبكاء ، بينما ظل (عمرو) فى إندهاشه وعدم إدراكه .. وفى حين إفتراس الأخ (حسن) (لديك أم عمرو) كنا قد قصصنا على (عمرو) القصص ليهب واقفا من مكانه وبعجرفة إعتدناها منه قائلا..

<< الكلام ده ماينفعنيش ، أنا محدش أخد رأيى ، وأنا مش موافق إن حد يقعد معانا أصلا ، أنا خارج أتكلم معاه ، إنتم ماتعرفنيش أنا بجح ومبتكسفش >> ..

وحقا لا أعرف متى وكيف إعتبرنا (حسن) نمازحه ، ليقوم بجذب (عمرو) والذى لم يمضى على معرفته به سوى بضع دقائق معدودات من قدمه ليسحله على الأرض ، مصدرا ضحكات لا يمكن أن يتخيل صدورها إلا من (هيلمان) كهذا ، ثم حمل صديقى (مصطفى) وألقاه كدمية على كنبة الأنتريه ..

ولا أعلم كيف ومتى بدأنا نحن أيضا فى الضحك الهستيرى ، حيث إنقض صديقى (أحمد) ليقفز على كتف (حسن) ممسكا برقبته ، بينما إنقضضت أنا بدورى ممسكا بقدم ومحاولا إسقاطه أرضا ، ولكن هيهات هيهات فكيف لهذا (الهيلمان) العملاق أن يسقط ، فهو غير قابل للشد والجذب .. وقد أصبح من الحكمة أن ننفد بجلودنا قبل فوات الأوان ..

فإنطلقنا فارين نحو أقرب غرفة ، يتقدمنا صديقنا (عمرو) المتاكل (ديك أمه) << واللي مانعرفهوش البجح إللي مبيتكسفش >> .. لنغلق على أنفسنا الباب ، بينما أخذ (حسن) يحاول فتح الباب قائلا ..

<< يعنى مش هتخرجوا من عندكم ؟ >> .. << هاااه هاااه هاااه >> ..

وبعد أن إلتقطنا أنفاسنا قال (عمرو) المتاكل (ديك أمه)

<< واللى مانعرفهوش .. وإلخ >> متسائلا .. << وهنعمل إيه فى المصيبة ده ؟ >> .. فتكلمت بدورى قائلا.. أولا نحن مخطئون من البداية لأننا تبعنا شاب متهور متأثرا بفقدانه (لديك أمه) .. بينما كان الحل سهل وبسيط ، وكان أمام أعيننا طيلة الوقت ولم نفطن له !! .. فقال (عمرو) متهكما .. وما هو الحل يافريد عصرك ؟! .. فأجبته قائلا .. ببساطة نفعل مافعله أصدقائه الأندال ..

فقاطعنى هذه المرة صديقى (مصطفى) بعفوية ومشاعر صادقة قائلا ..

لا تقل عليهم أندال فقد اتضح أنهم ضحايا مثلنا ..

فأردفت قائلا.. إن الضحايا الأندال قاموا بتغيير كالون الباب ، ولحسن حظنا أننا لم نعطى (حسن) مفتاحا للشقة من الأساس .. لذلك وبكل بساطة لن نفتح الباب (لحسن) .. فرحب الجميع بهذا الحل وعلى رأسهم صديقنا (مصطفى) الذى جلب إلينا (حسن) من البداية ..

وهاهو الأخ (حسن) واقفا خلف باب الشقة وتحت قدمه حقيبته التى قمنا بوضعها سلفا أمام الباب .. حيث أخذ فى طرق الباب بعنف ، واضعا يده على جرس الباب مرددا فى غيظ .. << إفتحوا .. أنا أعرف أنكم بالداخل .. إفتحوا>>

وبينما نحن جلوس بالداخل فى صمت تام كما الأموات إذا بصديقنا (عمرو) المتاكل (ديك أمه) << واللى مانعرفهوش ، البجح ، وإللى مبيتكسفش >>
يقطع هذا الصمت هامسا فى حذر شديد .. << تفتكروا ممكن يكسر الباب ؟ >>

<< يانهار إسود >> .. قالها (مصطفى) وهو متوجها ناحية الباب على أطراف أصابعه ليحكم إغلاقه بالترباس .. وبعد إنتهاء الزوبعة ورحيل الأخ (حسن) ، تنهد صديقى (مصطفى) قائلا .. يااااه أنا لا أصدق أننا قد تخلصنا بالفعل من هذا البلاء ..

وبنظرة ماكرة وجهها (أحمد) إلى (عمرو) قائلا .. << أنا مش صعبان عليا فى الموضوع كله غير (ديك أم عمرو) .. ياترى (ياعمرو) هتقول لأمك إيه لو سألتك عن (الديك) ؟ >> ..
فأجابه عمرو متأثرا بجراحه وحزنه على (ديك أمه) قائلا ..
<< هقولها ديكك راح فى الوبا يا أم عمرو >> ..

****

٢- أسطورة رضا :

مضى عام كامل وما زلنا نسكن فى شقتنا الأنيقة تلك فى الحى التجارى ببورسعيد ، حيث لا نرغب أن يشاركنا أحد فى السكن وخصوصا بعد ما لاقيناه من الأخ (حسن) ..

ومن بين أبناء المحافظات ومن إحدى قرى الصعيد النائية ، كان لنا صديق غريب الأطوار بعض الشئ ولكنه كان مقربا إلينا بشكل كبير دونا عن باقى أبناء المحافظات ، إنه صديقنا المحبب الى قلوبنا (رضا) ..

(رضا) شخصية كاريكاتيرية بما تعنيه الكلمة ، يشعرك بأنه أحد شخصيات عالم ديزنى قد ضلت طريقها إلى عالمنا البربرى الموحش عاجزة عن العودة لعالمها من جديد .. فهو شاب شديد النحافة دقيق الملامح ، ذو أنف طويل مدبب ، شعره أصفر وناعم يصففه على أحد الجوانب محدثا على الجانب الآخر فرقا ممتد بطول رأسه ، ودائما ما يكون شعره مبتل ؟! .. بشرته بيضاء أو صفراء يصعب أن تحدد ذلك ، عيونه خضراء لامعة تنطق ببراءة وطفولة لا تناسب عمره بأى حال ، يرتدى العديد من الملابس بعضها فوق بعض صيفا أو شتاء على حد سواء ، وبرغم ذلك فإن كثرة الملابس لا تخفى من نحافته شيئا .. ويرتدى سروال يرفعه إلى منتصف

بطنه .. فحين تنظر إليه لا تستطيع أن تخفى إبتسامتك إلى أن يختفى من أمام عيناك مهما كانت حالتك المزاجية سيئة ..

لذلك ف (رضا) كان مصدر بهجة بالنسبة لنا ، كنا نحب رؤيته وكذلك هو ، فقد كان كثير الزيارات لنا فى مسكننا ويحب مجالستنا عن أبناء محافظته لما يستشعره معنا من مودة لا يراها من الأخرين ..

وصلت إلى الشقة فى وقت متأخر كالعادة عائدا من أجازة طويلة بعض الشئ ، وحينها لم أجد أحدا من الأصدقاء فى الشقة ، فربما قد خرجوا يتسكعون فى شوارع الحى التجارى كعادتهم ، فقمت بوضع أغراضى وألقيت جسدى على السرير لأريح ظهرى قليلا من عناء الطريق ، وغفوت لدقائق معدودة قبل أن أقوم من مكانى فزعا على صوت ذلك الجرس المزعج ، وصوت الطرقات المتواصلة على الباب ، وقد كان هذا السلوك السمج من عادة أصدقائى حين عودتهم من الخارج ، فتوجهت إلى الباب مسرعا وقد استشط غضبا وأخذت أدندن ببعض السباب واللعنات ، فهؤلاء الحمقى سوف يتسببون لنا حتما فى مزيد من المشاكل مع الجيران بسبب هذا التصرف الأحمق ..

فتحت الباب فدخل ثلاثتهم مندفعين من الخارج تتعالى أصواتهم بالضحك والمزاح ، قال أحدهم .. << ألم أقل لكم أنه قد (شرف بسلامته) >> ..

وقال الأخر .. << لقد فاتك الكثير اليوم ، فقد كان يوما حافلا مليئ بالمصائب>>
بينما توجه الثالث إلى المطبخ وكان يحمل فى يده كيس بلاستيك فيه بعض الأشياء التى إبتاعوها من الخارج على ما يبدو ، حيث قال ..
<< لقد وضعناك فى الحسبان ، وسواءا أكلت معنا أم لم تأكل سوف تدفع ثمن ما قد إبتعناه لك على أى حال >> ..

فتركتهم دون أن أتفوه بكلمة واحدة من شدة غضبى وحنقى عليهم ، وعدت لأستلقى على السرير مرة أخرى ، وما أن أغمضت عينى حتى فتحتها من جديد فزعا على صوت ذلك الجرس المزعج وصوت طرقات الباب المتواصلة ، فقمت أتلفت من حولى فلم أجد أحد ، فأسرعت لأفتح الباب وإذا بثلاثتهم يدخلون مندفعين من الخارج تتعالى أصواتهم بالضحك والمزاح .. وما كان منهم إلا ماكان منذ لحظات دون زيادة أو نقصان ، حتى توجه إلي أحدهم بعد إنتهاء العرض مستفسرا عن حالة الإندهاش والتثمر التى رآنى عليها ! ..
فقلت له .. لا شئ فقط كان مجرد حلم وقد فزعت من ضجيجكم كالعادة ..

الأمر كان مختلفا عن كل مرة ، فقد إعتدت أن أشعر بتكرار الأحداث من حولى ، ولكن عادة ما يكون هذا الشعور أثناء وقوع الحدث نفسه .. أما أن شاهدت الحدث قبل وقوعه بلحظات ، وبكل هذا التفصيل والدقة ! .. فهذا أمر عجيب ومفزع بعض الشئ ..

وفى يوم مللنا فيه كل شئ من حولنا ، إقترح أحد الأصدقاء أن نقوم بزياة (رضا) فى مسكنه ، وعلى الفور رحبنا جميعا بهذا الاقتراح ، فوحدها رؤية (رضا) قادرة على كسر هذا الملل وإعادة البهجة إلى نفوسنا .. طرقنا الباب ففتح لنا أحد المقيمين في السكن ، وما أن رحب بقدومنا وأدخلنا حتى تصادف ذلك مع خروج أحد الشباب المقيمين من غرفة (رضا) صارخا وكأن أحدهم قد إرتكب فى حقه أمر جلل .. خرج حاملا فى يده حقيبة ملابسه وفى اليد الأخرى غطاء نومه مرددا .. << والله مأنا نايم معاه فى أوضة واحدة .. والله ولو هنام على الأرض أو أسيب الشقة والله.. إلخ >> ..

وهنا ظهر (رضا) عند باب الغرفة بسرواله الذى يعلو إلى ما بعد منتصف بطنه ، وبنظرته الطفولية البريئة المندهشة دائما وكالعادة ، ليفجر فى أعماقنا بهجة كنا فى حاجة ماسة إليها ، وترتسم على وجوهنا إبتسامة نظيفة لم نستطع إخفائها رغم هذا الجو المشحون المليئ بالتوتر والصراخ والإحتجاجات ..

فاتجهنا ناحية صديقنا المحبوب إلى قلوبنا (رضا) متسائلين ! ..

- << إنت عملت فى الواد إيه يارضا ؟! >> ..

- << والله ماعملتله حاجة ! >> ..

- << ياواد إطلع من دول ، قولى بصراحة (يارضا) إنت بترفث وإنت نايم ؟ >>

- << والله أبدا ! >> ..

- << والله أبدا إزاى.. دا الواد خارج من الأوضة مسروع وكأن ثعبان قرصه !>>
- << يووووووه >> ..

أمضينا بعض الوقت مع صديقنا (رضا) ولم يطل مكوثنا لتوتر الأجواء هناك فانصرفنا غير مدركين كيف يكون كل هذا التوتر سببه (رضا) ؟! ..
وفى طريقنا للعودة وأثناء حديثنا عن نوادر (رضا) قال صديقنا (مصطفى) ..
<< والله (رضا) صعبان عليا يقعد مع العيال دول .. هيبهدلوه .. ايه رأيكم نجيبه يسكن معنا >> .. هنا صرخ (عمرو) فى وجهه قائلا ..
<< إنت تانى يابتاع حسن الغلبان ! .. ياراجل حرام عليك دا أنا لسة (ديك أمى) ناره مبردتش !!! >> .. فانفجر جميعنا بالضحك حين تذكرنا ما كان من الأخ (حسن) مع (ديك أم عمرو) ..

وفى يوم من الأيام قام (رضا) بزيارتنا فى مسكننا وفى صحبته شخص مريب ، غريب أطوار آخر .. ولكنه من نوع مختلف تماما غير (رضا) ..
فكان شاب متوسط الطول ، بشرته بيضاء شاحبة ليس فيها دموية أو حياة ، تشبه بشرة مصاصى الدماء فى أفلام هوليود ، عيناه زرقاء باردة منطفئ نورها وكأنها ميتة بالفعل ، شعره أصفر قصير ومجعد ، ملابسة مماثلة للملابس الأوروبية الكلاسيكية فى فصل الشتاء ، حيث يرتدى معطف أو بالطو شتوى طويل أنيق .. وبإختصار إنه شاب أنيق ، مريب ، غريب الأطوار ، لا تظهر على ملامحه أى تعبيرات تشعرك بأنه

حى يرزق .. وقد عاش عمره كله فى الجزائر مع والده ، ورجع إلى مصر ليلتحق بالجامعة هنا ..

وبعد أن تعارفنا عليه .. تجاذبنا معه أطراف الحديث ، حتى تطرق الحديث إلى نوعية مريبة وغريبة من المواضيع التى أثارها هو وبدون داعى !!! ..
لقد أخذ يتحدث عن الله والشيطان ، وأخذ يبرر ويدافع عن الشيطان !!! ..
فقد كان الفتى وكأنه يتحدث بلسان الشيطان نفسه ! ..
فترائ لنا أنه أحد عبدة الشيطان هؤلاء ، فقد كانوا منتشرين فى هذه الأونة بشكل مخيف .. فكان الصمت والتوتر يسودان المكان ، حيث آثر أصدقائي الصمت التام موجهين أبصارهم بترقب إلى الفتى أثناء تحدثه ..
بينما أخذت أنا دور المحاور الذى يرد عليه كل مغالطة وإدعاء وفرية يتفوه بها على سبيل (وجادلهم بالتى هى أحسن) ..

وبدون مقدمات قطع صديقنا عمرو الحوار لينهى الحديث بلهجة خشنة قاسية ، آمرا الفتى بمغادرة المكان فى الحال ، فلا رغبة لنا فى مجالسته ، وقد بات غير مرحب بوجوده معنا ..
فقام الفتى من مكانه بهدوء وبرود قاتل ومريب .. ودون أن تظهر على قسمات وجهه أى تعابير توحى بالغضب أو الخجل أو الإهانة أو أى شيئ يذكر ..

وبدون أى كلمة غادر المكان فى حين كانت تراقبه أبصارنا بشئ من الريبة والتوجس ، فكنا نراى وكأن هالة شيطانية تحيط به !!! ..

إلى أن قفز وفط ونط (رضا) من مكانه ليفجر فى نفوسنا بهجة كعادته أو كعادتنا معه ، ويرسم على وجوهنا إبتسامة أزالت أجواء التوتر والعصبية التى كانت تسيطر على المكان منذ لحظات ، فتوجهت أبصارنا بتلقائية ناحية
(رضا) الذى إتجه بدوره ناحية الباب مستشيط غضبا ..
- << إنت رايح فين يارضا ؟! >> ..
- << رايح فين إيه ؟ >> ..
- << تعالى بس أقولك يا أخى >> ..
- << لأ كفاية اللى عملتوه .. شكرا أوى .. شكرا شكرا شكرا >> ..

مضت الأيام ووقع حادث جلل فى الحى التجارى وتحديدا فى محيط العقار الذى نقتن فيه .. ماس كهربائي نتج عنه حريق هائل نشب فى إحدى البنايات القديمة ، وفى الواقع أن معظم البنايات فى الحى التجارى قديمة وعتيقة ، حيث الأسقف والواجهات مصنوعة من الخشب .. وكان يوما مهيبا ..
فلم أكن أعرف أن للنار صوت تقشعر له الأبدان وتفزع له القلوب والوجدان ، فلك أن تتخيل بناية أو برج ضخم عبارة عن عمود من النار ، وكأنها مارد عملاق

له شهيق وزفير مصدرا صوتا كالصراخ المروع ، يأكل كل ما يعترض طريقه من أخضر ويابس بلا رحمة ولا هوادة ، حيث تنتقل النار من بناية لأخرى منذرة بالويل والخراب للحى التجارى بأكمله ..

فكان الحدث مروعا ومفزعا وقد خلف وراءه من الخسائر ما خلف ، وإنقطعت الكهرباء عن الحى التجارى بكامله لخمسة عشر يوم متصلة ..

غادر أصدقائي بورسعيد بعد الحادث عائدين إلى القاهرة بينما مكثت أنا ليومين بعدهم للضرورة ، وإقترح على أصدقائى قبل المغادرة أن أذهب لأقيم مع (رضا) فى شقته نظرا لإنقطاع الكهرباء عن الحى الذى نقتن فيه بأكمله ، ولكننى رفضت هذا الإقتراح قائلا ..

<< إنتوا إتجننتوا .. (رضا) إيه ده إللى أبات معاه ؟! .. دول بيناموا كل ثلاثة على سرير واحد !!! .. دول مش بنى آدمين أصلا >> ..

فكان الظلام عليا أهون من المبيت فى زريبة (رضا) هذه ..

وكانت خطيتى لقضاء الليل فى هذا الظلام الحالك الذى يمتد مد البصر محدثا جو موحش كئيب ، أنى أشعلت شمعة ، ولحين ذوبان الشمعة وإنطفاء نورها أكون قد غلبنى النعاس ونمت وتنقضى الليلة بسلام .. ولكن لم تسير الأمور كما خطت لها تماما .. أتعلمون مقولة .. (دا بيسمع دبة النملة) .. أظننى كنت أسمع دبة النملة فى هذه الليلة .. فكانت هناك أصوات غريبة ومريبة من حولى (صرير ، وطقطقات، وخرفشة .. وإلخ) إلى أن إنطفأت الشمعة دون أن يذق جفنى طعما للنوم ليلتها !!

وفى الصباح الباكر ذهبت إلى الجامعة حيث قابلت (رضا) الذى سألنى بدوره ..
مابك ؟ .. تبدو شاحب الوجه وتظهر عليك علامات الإرهاق ! ..
فأجبته باسما كعادتى حين رؤيتى له حتى وأنا على هذا الحال المزرى ..
لم أنم ليلتى يا (رضا) ..
فعرض على المبيت معه ، و بالطبع رفضت ، إلا أنه أخبرنى أن الجميع قد غادروا السكن عائدين إلى منازلهم وهو الأن بمفرده فى الشقة ، حينها وافقت ، فقد كنت فى أمس الحاجة إلى النوم ..

وحين وصلنا إلى الشقة وجدتها كعهدى بها ، مكان قذر بكل ما تعنيه الكلمة ، زريبة بشرية تعكس نوعيات وطبائع المقيمين فيها ..
إخترت سريرا فى إحدى الغرف ، لم يكن نظيفا ولكنه كان الأنظف على كل حال ، وقال لى (رضا) متحمسا .. خذ راحتك فأنا بالخارج ، وإن إحتجت لأى شئ ماعليك إلا أن تقول (رضا) ثلاثا .. ستجدى بين يديك فى التو والحال ..
فقلت له باسما والنعاس يصرعنى .. (إطلع برة يارضا) ..

ولم يمضى سوى عشر دقائق بأقل تقدير حتى سمعت باب الغرفة يفتح ، ففتحت عينى فى تثاقل وبقدر ضئيل يمكننى فقط من رؤية من يدخل الغرفة ، وإذا بى أرى مالم يكن فى الحسبان ، إنه ذلك الفتى المريب الذى طردناه من شقتنا شر طردة .. فأى ورطة هذه التى وضعت نفسى بها ، فتظاهرت بالنوم محاولا أن أفوت عليه

فرصة طردى من مسكنه كما فعلنا معه ، فى حين أبقيت عينى مفتوحة بقدر ضئيل جدا كى أتمكن من مراقبته دون أن يلاحظ هو ذلك

فكان منه العجب العجاب .. ظل الفتى واقفا أمامى يرمقنى لبعض الوقت دون أن يتحرك ، ثم إتجه ناحيتى ليجلس بجوارى على السرير لبعض الوقت ..
ثم فعل شيئا غريبا! .. لقد مد أحد أصابعه ووضعه على أنفى ضاغطا عليه بقوة ، ثم إعتصر أذنى بكلتا إصبعيه حتى ألمنى ؟! .. حينها إعتصرت قبضتى وهيأت نفسى للكمه والوثوب عليه ، إلا أنه قام عنى ليقف أمامى لبعض الوقت ..
آثرت حينها أن أتحلى ببعض الصبر لأرى ما وراء هذا المجنون غريب الأطوار .. إلا أنه خرج من الغرفة بنفس البرود الذى غادر به شقتنا ، فقمت جالسا على السرير أفكر فى غرابة الأمر ، وعزمت على أن أخرج وأوسعه ضربا بمجرد أن يفتح فمه ليتفوه بكلمة واحدة .. فخرجت مغتاظا متحفزا ، لأجده جالسا بكل برود على الأريكة بجوار رضا .. ظللت برهة من الوقت واقفا أمامه ولم تطرف عينى وأنا أطالع عيناه التى لا أرى فيهما أي حياة ، وكذلك هو فقد ظل يرمقنى ببروده وملامحه الجامدة الخالية من أى تعابير توحى بأن له مشاعر وأحاسيس كباقى البشر .. ولا أخفيكم سرا أننى فى هذه اللحظات تخلل إلى نفسى بعض القلق والتوتر مما جعلنى أعدل عما كنت أنوى القيام به ، فقد إنتابنى حينها شعور أننى أمام شيطان متجسد فى هيئة بشر ..

فتوجهت إلى باب الشقة مغادرا المكان فى حين لحق بى رضا متسائلا ..
<< إنت رايح فين يابنى هو فيه إيه؟! >> .. فقلت له لا شئ يا (رضا)
فقط لا أشعر بالراحة هنا وسأعود إلى شقتى .. فأصر حينها على مصاحبتى والمبيت معى كى لا أكون بمفردى فى هذا الظلام الدامس الذى يخيم بوحشية على الحى بأكمله فرحبت بهذا العرض .. لعل وجود رضا معى يحدث فارقا وأتمكن من النوم

دخلنا من باب الشقة حيث ظلام يصعب أن ترى فيه كف يدك ، لذا إبتعت شمعة وعلبة كبريت قبل صعودنا إلى الشقة لصعوبة الوصول للشمع والكبريت الموجودين بالفعل فى حجرتى ..

فأشعلت الشمعة وتوجهت بها إلى حجرتى وصحبت معى (رضا) .. وكان بها سريرين نظيفين مريحين ، ومن باب المجاملة والمعاملة بالمثل طلبت من رضا أن يختار أيا من السريرين يرغب فى النوم عليه ، فصعد رضا على أحد السريرين تغمره سعادة بالغة كتلك التى تراها فى أعين الأطفال حين يجلسون على سرير ناعم ونظيف ومريح ، لدرجة أننى كدت أن أنحنى مقبلا جبهة (رضا) .. قائلا له << تصبح على خير ياصغيرى .. أحلام سعيدة >> ..

وبمجرد أن إستلقيت على السرير غط فى نوم عميق .. ولم يمضى من الوقت سوى ساعة تقريبا حتى إستيقظت فزعا على أصوات غريبة متداخلة ومرعبة تجمدت لها الدماء فى عروقى .. كان مصدر تلك الأصوات هو (رضا) !! ..

والذى ترائي لى فى ضوء الشمعة الخافت أن جسمه ينتفض وكأنه يصعق بتيار كهربائي عالى الجهد فى جلسة تعذيب مصدرا كل تلك الأصوات المرعبة ..

- << رضا .. رضا >> ..

- << إيه .. إيه .. فيه إيه ؟ >> ..

- << مابك يارضا ؟! .. هل أنت بخير ؟ >> ..

- << نعم بخير .. ماذا هناك ؟! >> ..

- << وكيف تكون بخير مع كل هذا الذى رأيته منك الأن ؟! ..أخبرنى مابك فقد تملكنى الخوف مما رأيته >> ..

- << بصراحة لقد أصبت بالمس أثناء معالجتي لأحد المسوسين فى بلدتى بالقرآن .. سبعة من الجن تلبسوا بى لينتقموا منى .. وفى كل ليلة يأتونى على هيأة كلاب وثعابين وقطط ليطاردونى ويلحقوا بى الأذى >> ..

- << عظيم يا (رضا) .. فما كان ينقصني غير هذا .. ولماذا عرضت علي المبيت معى فى هذا الظلام الموحش على ما بك من مس وأذى ؟! >> ..

- << أحببت ألا أتركك فى هذا الظلام وحدك >> ..

- << بل كان عليك أن تتركنى وشأني يا (رضا) >> ..

- << وأين أنت ذاهب الآن بهذا الغطاء ؟! >> ..

- << سأمضى ليلتى فى الشرفة .. فخذ راحتك واعتبر المكان لك ولعفاريتك السبع >> ..

جلست على مقعد فى الشرفة حيث الظلام ممتد على مرمى البصر ..
يتخلله ضوء لشمعة هنا وهناك .. وكأنها نجوم على الأرض كتلك التى فى السماء .. فتشابهت الأرض حينها مع السماء .. حيث الظلام الحالك وأضواء خافتة متناثرة هنا وهناك .. شعرت بنسمات هواء باردة .. فالتحفت الغطاء مندثرا بداخله .. وأخذت فى إسترجاع بعض الأحداث المتعلقة (برضا) ..

فاسترجعت فى مخيلتى مشهد هذا الشاب الصارخ الملسوع الذى خرج مستجيرا من غرفة (رضا) !! .. آآآه كم كنت أحمق حينها ! ..
كيف لم أعى ذلك ؟! .. كيف لم أتحقق من الأمر حينها ؟! ..

وأيضا هذا الفتى غريب الأطوار الذى قدمه لنا (رضا) على أنه زميل لنا فى نفس الدفعة بالجامعة !! .. أنا لم أشاهده فى الجامعة يوما ما !! ..
فلم أشاهده سوى مرتين فقط وبرفقة (رضا) !! ..

ثم كيف يعقل لشاب مثل هذا تبدوا عليه علامات الترف أن يسكن هذه الزريبة القذرة !! .. وأيضا ظهوره المفاجئ المريب في هذه الليلة رغم تأكيد (رضا) لى أنه بمفرده فى الشقة ؟! .. أيعقل أن يكون الفتى أحد عفاريت رضا السبع ؟! ..
فنفضت عن نفسى هذا التفكير السخيف ، فلم يعد هناك من أطياف أراها بعد أن وعدني الأشيب بذلك .. ثم أن الجميع رآه وتعامل معه ولم يكن الأمر مقتصرا علي

وأخيرا غلبنى النعاس وغط فى نوم عميق ، مسترخيا على المقعد فى الشرفة المطلة على الحى المظلم ، تداعبنى نسمات الليل الباردة .. إلى أن إستيقظت فزعا على أصوات متداخلة مرعبة ومفزعة ، تجمدت لها الدماء فى عروقى وإشتعل لها شعر رأسى ، بل شعر جسدى كله ، ليهب واقفا منتصبا كأننى قنفذ برى قد إستشعر الخطر .. لقد كان هذا (رضا) .. أقصد (عفاريت رضا) .....
الله يخربيتك يارضا ..

****

٣- علاقة حب :

مضت الأيام ونحن الآن على مشارف امتحانات نهاية العام ، وكانت تواجهنا مشكلة كبيرة مع أحد المواد ، حيث لم تجدى كل محاولتنا فى فهم مسائلها اللوغاريتمية المعقدة ، ولم نجد أيضا من يفهمها لنستعين به فى فهمها ، فالجميع كانوا يعانوا من الأمر ذاته ، ولم يتبقى على موعد الامتحان سوى أسبوع فقط ، فتوجهنا الى أحد المراكز الخارجية التى يقيمها مجموعة من المعيدين لتحسين دخولهم المعدومة التي يتقادونها من الجامعة ، ولكنهم كانوا مبالغين جدا فى سعر المحاضرة الواحدة لهذه المادة ، مستغلين بذلك معانات الطلاب فى فهم هذه المادة ، ولم تكن امكانياتنا تسمح بتحمل هذه التكاليف ، ولم يكن أيضا هناك متسع من الوقت كى يسافر أحدنا لجلب المزيد من المال ، فاقترح أحدنا أن نختار واحدا منا فقط ليحضر هذه المحاضرات ونتشارك جميعا فى التكلفة ، على أن يقوم بشرحها لبقيتنا ، فقال صديقنا

(أحمد) .. << عندى اقتراح وأظنه سيكون الأفضل .. لقد تعرفت على المعيد لهذه المادة ، إنه من القاهرة أيضا ، وعرفت منه أنه نزل للإقامة فى بيت الشباب إلى أن تنتهى فترة الامتحانات ، وقال أنه مستاء جدا من الأجواء هناك ..

فماذا لو عرضنا عليه الاقامة معنا إلى حين إنتهاء مدة الامتحانات على أن يقوم بشرح هذه المادة لنا ؟.. أظنه لن يمانع فى ذلك >> ..

فرحبنا جميعنا بهذا الإقتراح .. ورحب بذلك أيضا المعيد ،وإنتقل للإقامة معنا حيث قام بشرح هذه المادة لنا أثناء اقامته ..

وكان اليوم الأول من الامتحانات حيث ذهبنا باكرا للتعرف على أرقام الجلوس واللجان ، وكانت لجنتى شبيهة بفصول المدرسة تماما من حيث الدكك المتراصة فى أعمدة بطول الفصل .. فجلست على المقعد حيث رقم جلوسى ، ونظرت بجانبى لأرى لمن يكون رقم الجلوس بجوارى على الدكة ، فكان الاسم لفتاة اسمها (هيام) .. إنتابنى شعور قد إعتدت عليه بين الحين والآخر حين وقع نظري على الإسم ، فهناك خطب ما كالعادة أشعر به ولا يمكننى تحديده ..

أشعر أن الأجواء هنا مألوفة لى ، وكأننى كنت هنا من قبل ! ..

فنفضت سريعا هذه الفكرة من مخيلتى فأنا الآن مقبل على امتحان وأحتاج لبعض التركيز ، فلا وقت لدى أضيعه فى هذا الهراء ، فأغمضت عينى قليلا محاولا كبح ذلك الشعور والتخلص منه ، فأحسست حينها بأحدهم يجلس جوارى ، ففتحت عينى دون أن ألتفت إليها وقد بدأ التوتر ينتابنى ، وإزدادت ضربات قلبى .. سحقا .. ما هذا الإحساس الغريب ! .. أشعر بها كأن هناك ما يجزبنى إليها ويربطنى بها ! .. فأغمضت عينى من جديد وعزمت على تجاهل أمرها وعدم النظر والإلتفات إليها ..

قام مراقب اللجنة بتوزيع الأوراق علينا ، وبدأت على الفور فى مطالعة ورقة الأسالة ، حيث تعرفت على جميع الأسئلة ماعدى السؤال الثانى فلم أكن أعرف اجابته ، وللأسف كان سؤالا إجباريا ، لذا خصصت له مكان فى ورقة الإجابة وشرعت فى الاجابة على بقية الاسئلة على أن أعود لهذا السؤال حين أنتهى ، وقبل إنتهاء الوقت المحدد للإمتحان بنصف ساعة سمح المراقب ببعض التجاوزات حين إستشعر حالة الإضطراب والتوتر لدى الطلاب فى اللجنة ،

حينها سمعت صوتها بجانبى تقول .. << السؤال الثانى ؟ >> ..

فأجبتها دون النظر اليها قائلا .. << للأسف لا أعرف إجابته >> ..

فقالت .. << أعرف ذلك .. وهذه هى الاجابة تفضل >> ..

وعرضت أمامى ورقة الإجابة الخاصة بها ! .. وكنت لا أحب مثل هذه الأمور ولم أقم بها فى حياتى من قبل ، ثم إن عدم الإجابة عن سؤال واحد فى الإمتحان لن يكون له تأثير مدمر على النتيجة على أي حال ! ..

فنظرت لها وهممت بشكرها ورفض عرضها ، إلا أن الشعور الذى انتابنى حين نظرت إليها قد أربكنى .. فعدلت عن نيتى وبدأت فى نقل إجابة السؤال من ورقتها دون أن أتفوه بكلمة ، محاولا إخفاء هذا الارتباك عنها ..

وبعد أن قمت بتسليم أوراقى خرجت من اللجنة وكانت قد سبقتنى هى فى الخروج ، وقابلتها عند سلم النزول للمبنى ، فقد كانت فى إنتظارى على ما يبدو ، ولم أجد حينها مفر من التوجه إليها وشكرها على تقديم المساعدة ، وأخبرتها أننى حتما سأرد لها صنيعها فى المرات القادمة ، ثم إستأذنت فى الإنصراف بعد أن بلغ منى التوتر مبلغا لم أعد أستطيع إخفائه وكبحه أكثر من ذلك ..

مستحيل هذا الشعور .. هذه الفتاة أعرفها جيدا وربما أكثر من اللازم ..

ولكن .. متى ؟ .. وأين ؟ .. وكيف ؟ .. حقا لا أدري ! ..

وكانت المادة الثانية هى تلك المادة التى قام المعيد بشرحها لنا ، وقد رسب معظم طلاب الدفعة فى هذه المادة لصعوبتها البالغة ، بينما حصلت أنا وأصدقائى وكذلك تلك الفتاة على تقدير امتياز فى هذه المادة بالذات ..

وذالك لأن صديقنا (المعيد) قد قام بتسريب الإمتحان لنا بالكامل أثناء شرحه دون أن يخبرنا ، وقد تفاجأنا بذلك حين عرضت علينا ورقة الأسئلة ! ..

قابلتها للمرة الثانية عند الدرج فقد كانت فى إنتظارى أيضا على مايبدوا ..

وفي هذه المرة هى من قامت بشكرى حيث قالت ..

- << الأن نحن متعادلان .. صحيح أننى أعطيتك اجابة سؤال واحد وفى المقابل أعطيتنى أنت الإمتحان بكامله دون مبالغة ! .. إلا أن المبدأ واحد >> ..

فقلت ..- << هل لى بسؤال ربما يكون غريبا بعض الشيئ ؟ >> ..

- << تفضل ؟ >> ..

- << هل تقابلنا من قبل ؟ >> ..

- << لا أعتقد .. ولكن لا أعلم لماذا ينتابنى شعور أنى أعرفك جيدا ! >> ..

- << هو شعور متبادل إذا ؟! >> ..

- << أظنه كذلك !! >> ..

ومضت الأيام وقد إعتدنا نتقابل ونتجاذب أطراف الحديث بعد كل إمتحان ، حتى إنتهت الإمتحانات وإنتهى معها العام الدراسى ، وعاد جميعنا إلى منازلنا ..

وفى بداية العام الدراسى الجديد كان أول وجه قابلته فور دخولى الى حرم الجامعة من الوجوه التى أعرفها كان وجهها هى ! .. وكأنها كانت فى انتظارى وتبحث عنى !! ..فعجيب أمر تلك الفتاة !! .. وعجيب شعورى كلما قابلتها !! ..

وعجيب هو ملاحقتها وحصارها لى فى كل مكان أتواجد به داخل الجامعة !! .. فلا يمضى يوم دون أن أراها أمامى تبتسم لى فى دلال فلا أشعر بنفسى إلى وأنا مقبل عليها ! .. لقد إستحوذت علي بالكامل وما عدت أجالس وأسامر غيرها حتى أن الأصدقاء قد إنتقدوا ذلك وإستنكروه علي ..

فى الحقيقة لقد إعتدت عليها ، وإعتدت على مجالستها والحديث إليها ..

فى الحقيقة لقد بدأت أشعر أننى أريدها وليس بوسعى الإستغناء عنها ..

فى الحقيقة أننى أخبرتها أنى أحبها فتورد حينها وجهها خجلا وفرحا ..

فى الحقيقة أنها ملكتنى وأظننى ملكتها ..

٤- التشريفة :

وكما عودتنا الحياة فإن دوام الحال من المحال ، ودائما ما تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن .. لقد تركنا شقتنا الأنيقة تلك لحاجة صاحبها لها ، وكان ذلك فى منتصف العام الدراسي الثانى ، فلم نتمكن من العثور على سكن جديد فى هذا التوقيت المتأخر من العام ، ولم يكن متاحا لنا حينها سوى اللجوء إلى بيت الشباب .. ويقع بيت الشباب ببورسعيد فى موقع متميز جدا ، فهو أمام إستاد بورسعيد حيث لا يفصلنا عن شاطئ البحر سوى بضع أمتار ..

وكان يقبع داخل هذا النزل ذو الموقع المتميز كابوس طالما تحاشينا الإقتراب منه ، إنهم إخواننا من أبناء المحافظات ، وكأن القدر يأبى إلا أن يفتك ببراءتنا ومثاليتنا التى كنا حريصين على المحافظة عليها يوما ما ، معلنا أن الأقدار لا تجرى على هوى أحد ..

وهانحن فى بهو النزل حيث موظف الإستقبال والذى يبدو تماما كما يجب أن يكون عليه أى موظف حكومى محترم يبث الأمل والتفاؤل فى نفوس العملاء ..

- << لو سمحت إحنا محتاجين غرفة لأربع أفراد ..... هو حضرتك مش بترد علينا ليه ؟! >> ..

- << مفيش عندنا غرفة لأربع أفراد >> ..

- << طيب ممكن نعرف إيه المتاح ؟ >> ..

- << فيه المميز .. وده ثلاث سراير فى الغرفة والواحدة .. وده مش متاح حاليا ، وفيه العادى .. وده من ستة إلى إثنى عشر سرير فى الغرفة الواحدة ..

والحجز هنا بيكون بالسرير مش بالغرفة >> ..

- << طيب ممكن حضرتك أربع سراير يكونوا فى غرفة واحدة ؟ >> ..

- << غرفة رقم (١٣) فى الدور الثانى .. ولو فيه حاجة خايفين عليها ممكن تشيلوها هنا فى الأمانات .. الإدارة غير مسؤولة عن أى أغراض تختفى معكم >>

<< بداية مبشرة بالهول >> .. قالها صديقنا (أحمد) ونحن فى طريقنا صعودا متجهين إلى الغرفة السالف ذكرها حيث المجهول فى إنتظارنا ..

كان هناك ممر طويل على جانبيه العديد من أبواب الغرف المتراصة ..

وأثناء سيرنا مررنا بدورات المياه التى كانت تقع فى منتصف الممر تماما ، حيث خرج منها شاب يرتدى ملابس منزليه أنيقة وعصرية ، واضعا على كتفه منشفة تبدو نظيفة .. فنظرت إلى أصدقائى قائلا ..

<< أما هذا فأظنه مبشرا بالخير ، فقد كنت أتوقع أن يخرج علينا أحدهم (بالفانلة واللباس) .. على غرار أخوكم (حسن) >> ..

وهاهى الغرفة رقم (١٣) حيث قام أحد الأصدقاء بطرق الباب إستئذانا للدخول فلم يجب أحد ، وإذا (بالسجانة) .. أقصد عاملة النظافة تدفعه قائلة ..

<< إنت بتعمل إيه يا أستاذ ! .. الباب بيتفتح كده هو >> ..

وفتحت الباب بعصبية لتتقدمنا حاملة الملاءات النظيفة اللازمة لفرش الأسرة الأربعة .. فى حين توجهت إلينا أنظار الشباب المقيمين فى الغرفة تتفحصنا بنظرة مريبة .. تماما كتلك النظرة التى يتلقاها السجين المستجد فور دخوله الزنزانة للمرة الأولى له ، حتى أننى شعرت بأن أحدهم ربما يتوجه إلي فور مغادرة (السجانة) قائلا .. (إب أو أهرش) .. أو حتى ربما يقول .. (إقلع) .. ولكن الله سلم ولم يحدث شئ من هذا ..

فوضعنا أمتعتنا وبدأنا نهيئ أنفسنا للإسترخاء والنوم ..

وإذا بأحد الشباب يجلس على سريره ، وفى يده كتاب قد أخرجه لتوه من حقيبته ، فأخذ يقرأ بصوت جهورى مسموع للجميع .. لقد كان يقرأ ويدندن بما يشبه الترانيم المسيحية .. وعلى الفور طالبه أحد الشباب بالتوقف عن هذا ..

إلا أنه أبى إلا أن يكمل قراءته .. فإزدادت حدة المطالبة .. وإزداد أيضا عدد المطالبين .. بينما الفتى مستمر فى قراءته غير آبه للتوعدات والتهديدات الموجهة إليه .. فاندفع الشباب فى غيظ وقاموا بالإعتداء المهين عليه بالركل والصفع محاولين إخراسه .. بينما ظل الفتى مستمرا فى قراءته أثناء الإعتداء عليه ، ليذكرنى حينها بابن مسعود حين جهر بالقرآن لأول مرة بمكة ..

فإسترهبنا الموقف وإندفعنا مسرعين أنا وأصدقائى للحول بين الشباب الثائر المعتدى وبين الشاب المسيحى المسحول ، وبينما أصدقائى منهمكين فى محاولة صد

المعتدين وتهدئتهم ، توجهت أنا بدورى إلى الفتى مطالبا إياه أن يتوقف لتتوقف كل هذه الفوضى .. فأجابنى قائلا .. << هذا دينى !!! >> ..

قلت .. << دينك لك .. إقرأه لنفسك وإخفض من صوتك فليس لنا رغبة في سماع ما تقرأ ! >> .. فقال متهكما .. << ولم أكن أرغب أنا الأخر فى سماع قرآنكم حين تنقلونه لنا فى صلواتكم بمكبرات صوت خارج مساجدكم إلى داخل بيوتنا وفى غرف نومنا ، بل وفى أحلامنا .. ولم أكن أرغب فى سماع قرآنكم حين يقوم السائقين بعرضه علينا عنوة أثناء المواصلات ، أوحين يجلس بجوارى أحدكم يدندن بتلاوته طيلة الطريق ليسمعنى إياه رغما عنى .. وحين أطالب باحترام خصوصيتى والتى هى من حقى فى المواصلات والأماكن العامة المخصصة للجميع على حد سواء أو حتى فى مسكنى ، أقابل بالزجر أواللامبالاة !! .. إذا فهذا هو دينى أجهر به كيفما شئت ووقتما شئت كما تفعلون ، ولا يحق لكم أن تتعرضوا لى وتمنعونى من ذلك >> .. وأخذ الفتى يكمل قراءته ..

حينها جن جنون القوم وأصروا على الفتك به .. فاحتدم الخلاف بيننا واحتمى الوطيس ولم يعد هناك مجالا للتفاهم والحوار .. فاستللنا أحزمتنا مضطرين لذلك ، ملوحين بها يمنة وشمالا ، لنقف حائلين دون النيل من الفتى ، ولنخوض معركة لاناقة لنا فيها ولا جمل ! ..

فلم يكن موقفنا هذا دفاعا عن دين بعينه ، ولا عن عرق بعينه ، ولا عن شخص الفتى فنحن لا نعرفه من الأساس ، ولكننا وجدنا أنفسنا أمام نموذج يجسد حالة

من حالات الإستضعاف والعنصرية ، فأبت كرامتنا ومروءتنا أن تسمح بوقوع مثل هذا بين أيدينا ونحن شهود عليه ..

أما عن الفتى ورغم سلامة منطقه ، ورغم وقوفى حائلا دون النيل منه ، إلا أننى فى هذه اللحظة كنت أبغضه أشد ما يكون البغض ، فقد ترائ لى بإصراره الغريب المبالغ فيه أنه شيطان إختلق فتنة أوحلنا فيها رغما عنا ، فلولم يكن الفتى بمفرده وسط هؤلاء المعتدين لما كان لنا التدخل فى الأمر من الأساس ..

وهنا كانت المفاجأة .. والتى كانت بمثابة الصفعة الموجعة لى وللأصدقاء ..

لقد إنفجر الجميع بالضحك !!! .. الشباب الثائر المعتدى ، وكذلك الفتى المسيحى المستضعف المسحول ، والذى تبين لنا أن اسمه (محمد) !!! ...

فكانت هذه مجرد مزحة .. وقد أوقع بنا هؤلاء الأوغاد ..

ولمعرفتى بطبائع أصدقائى توجهت على الفور إلى صديقى عمرو ، ذلك الصديق المتعجرف ، فدائما ما يسبق غضبه حلمه ، والذى هم بالفعل فى غيظ للنيل من الفتى المخادع ، لولا وقوفى أمامه باسما ومربتا على كتفه لإمتصاص غضبه

قائلا .. << هون عليك ياصديقى فإنها مجرد مزحة !! ..

لقد دافعنا عنه حين كان اسمه (جرجس أو مينا أو حنا) ..

وتريد الأن الفتك به بعدما تبين لنا أن اسمه (محمد) ؟! >> ..

وكانت هذه بمثابة التشريفة التى حظينا بها فى أول ليلة لنا فى بيت الشباب ..

****

٥- معركة الكرامة :

وبعد أن ساقنا القدر وأرغمنا على الإقامة فى بيت الشباب ، تعرفنا هناك على صديقين جدد من القاهرة أيضا ، لنصبح بذلك مجموعة صغيرة تمثل وفد القاهرة فى بيت الشباب ، وسط مجموعات كبيرة متنافرة من أبناء المحافظات ذات الطبائع المختلفة ..

وقد وصلت لتوى عائدا من أجازة طويلة ، حيث دخلت الغرفة الصغيرة المكونة من ستة أسرة والتى أصبحت مخصصة لنا بعد أن أبرمنا إتفاق مع الإدارة على ذلك ، لأجد أصدقائى يتسامرون فيما بينهم ، بينما كل منهم يجلس على سريره، ورغم عودتى من أجازة طويلة ، إلا أن الأصدقاء لم يستقبلوننى بالحفاوة المعهودة !! .. وهذا لأننى لا أحمل معى أى طعام أو مدد على غرار
(ديك ام عمرو) فقد إنقضت هذه العادة وولت منذ أن تركنا شقتنا الأنيقة وأقمنا فى بيت الشباب ، ولولا هذا لاستقبلنى هؤلاء الأوغاد زحفا على بطونهم ، بدلا عن

- << إنت جيت يابوذ الإخص ، كنا لسة فى سيرتك >> ..

فكان هذا بالطبع صديقى (عمرو) ، ذلك الصديق المتعجرف الوقح ، والذى يشبه فى تصرفاته وطباعه البهائم ، فهو كثير الرفث والركل ، ولكنه ومع كل هذا

يملك قلبا نقيا صادقا لايعرف التصنع ، وهذه ميزة ربما أفقدها أنا وكذلك بقية الأصدقاء ..

<< والله ياأخى يارتنا كنا جبنا سيرة ربع جنيه مخروم كان أفيد >> ..-

أما هذا فكان صديقى (مصطفى) والذى يشبه إلى حد التطابق ..

(فؤاد المهندس) .. شكلا وموضوعا ..

- بينما هذا الفتى الوسيم المشغول بتصفيف شعره وعدل قصته فهو صديقى (أحمد) .. الملقب بـ (ساموزين) .. وهذا لشدة التشابه بينهما أيضا .. ولطالما أوردتنا قصته هذه فى المهالك ..

- وهذا الفتى الأسمر ذو الملامح الفلبينية ، والجسم المتناسق ، والوجه البشوش الضاحك .. فهو صديقنا الجديد (كريم)

- وهذا الشاب أبيض البشرة ، طويل القامة ، مفتول العضلات ، ذو الأصول التركية .. فهو صديقنا الجديد أيضا (خالد)

- وأما عنى فإن التواضع يحول بينى وبين أن أعرفكم بنفسى .. ولكن إن كان لابد من ذلك .. << فأنا هو الفتى واسع المنكبين ، شتن الكفين

(أبيض ، أكحل ، أفلج ، أبلج ، أدعج) .. وإلخ >> ...
وأظنكم لن تصدقوا هذا بالطبع ..

فقمت بوضع أغراضى وأخذت أهيئ نفسى لأريح جسدى من عناء الطريق ، فإن الطريق بين القاهرة وبورسعيد شاق وطويل كما تعلمون ، وأثناء قيامى بذلك ، تفاجأنا بقيام أحدهم بدفع باب الغرفة بقوة وعنف ! ..

ليدخل علينا عدد لا بأس به من الشباب حاملى الأحزمة والهراوات الغليظة والتى لا أعلم حقا كيف يكون لطلاب ، فى وقت إمتحانات ، ويقيمون فى بيت الشباب أن يتحصلوا على مثل هذه الأشياء أو يحملوها فى حقائبهم ، ولكنهم أبناء المحافظات فلا عجب إذا فى ذلك ! .. فأخذ الأوباش ينتشرون فى الغرفة كما الجراد ، وكان هدفهم الأساسى على ما تبين لى هو الترهيب والإهانة ..
فنظرت إلى أصدقائى لأجد كل منهم يجلس فى مكانه متحجرا كأنه تمثال !!! ..
وكأن المفاجأة ورهبة الموقف قد شلت حركتهم وتفكيرهم تماما !!! ..
وهنا إتخذت قرارا سريعا .. حيث إفترشت سريرى ، والتحفت غطائى ، وأعطيت الجميع ظهرى وكأن الأمر لا يعنينى بالمرة ..

لا تتسرعوا فى النيل منى ، فأنا ومنذ الصغر أجيد قراءة الأحداث ووضع الخطط والإستراتيجيات كما تعلمون ، ولو كنت أرى أن الوضع يحتمل غير ذلك لفعلت

حينها تقدم نحوى أحد الأوباش ليجلس على سريرى ويرفع عنى غطائى ، وبلهجة عامية غير ودودة قال آمرا .. << محدش هينام النهاردة >> ..

فنظرت إليه ببرود أعصاب ولا مبالاة ودون أن أغير من وضعيتى تحدثت قائلا .. << أنا لا أعرف أتمزح معى أم تتكلم بجدية ؟ .. وفى الواقع لا أريد أن أعرف .. ولكن ما أريدك أن تعرفه ، أننى وصلت للتو من سفرى وأحتاج للنوم ، وأنه من الأفضل لى ولك أن تبتعد عن سريرى الأن وتتركنى لأنام >> ..

والغريب فى الأمر أن هذا الوغد قد قام عنى بالفعل وتركنى وشأنى ! ..

ولا أعلم حقا أيعود هذا لدعوة أمى لى الليلة ؟ .. أم لتلك النظرة المخيفة التى طالما أخبرنى الأصدقاء عنها ، فكان الجميع يتحاشى النظر إلى عينى عند الغضب ؟! وهذا ما قصدت إستغلاله حينها ولأول مرة ..

إستغرق الأمر بضع دقائق قضيتها وأنا مستلق على سريرى متدثرا بغطائى ، أستمع لسيل الإهانات التى يتعرض لها الأصدقاء دون أن يحرك أحدهم ساكنا ! وحين إنتهى الأوباش وغادروا الغرفة ، نهضت منتفضا عن سريرى ..

لأراهم جالسين جلستهم لم تتغير ، وأنظارهم لا ترتفع عن الأرض ، ووجوههم محتقنة بالدماء ، وكأنها توشك على الإنفجار غيظا وغضبا ، فتحدثت إليهم قائلا .. << لا أريد معرفة السبب وراء ماحدث .. فكل ما أريده الأن هو تغيير هذا الوضع المهين حالا >> .. وهنا إرتفعت أنظار الجميع نحوى وكأنه كان لا

ينقصهم سوى الحافز الذى يخرجهم من حالة التصلب التى سيطرت عليهم وشلت حركتهم وإرادتهم .. فأردفت قائلا .. << هم الأن مشغولين بالتفاخر والإعجاب بأنفسهم ولا يتوقعون منا ردة فعل ، وما سنفعله الأن هو مباغتتهم وإقتحام الغرفة عليهم كما فعلوا معنا ، ولكننا لم نقتحمها للتحاور وجذب أطراف الحديث معهم كما فعلوا ، بل للإشتباك معهم ودون رحمة ، والأمر يجب أن يحدث سريعا دون أن نعطيهم فرصة ليتداركوا الموقف حتى لا ينقلب الأمر علينا ، فهم الأكثر عددا وعدة ، فيجب معرفة ما سنقوم به بالضبط سلفا قبل الدخول عليهم أولا هم لديهم فتوة مفتول العضلات وهو من يحركهم ، فمن منا يتولى أمره ولا يفلته ويترك أمر البقية للآخرين ؟ >> ..

وعلى الفور وبدون تردد وفى غيظ شديد قال صديقنا طويل القامة مفتول العضلات (خالد) .. << دعوا أمره لى >> .. فقلت له ..

<< عظيم ستكون أنت فى المقدمة لتنطلق نحوه وإترك لنا أمر البقية >> ..

وقمت باستلال حزامى وكذلك فعل بقية الأصدقاء .. فبالنسبة لطلبة جامعيين مغتربين عاديين ويقيمون فى بيت شباب هذا كل ما يمكننا التحصل عليه ..

وبلهجة حماسية حازمة خطبت فيهم قائلا ..

<< ليتجه كل منا فور دخوله الغرفة فى إتجاه مختلف ضاربا بلا رحمة ولا تعقل ، وليكن شعاره حين ذاك .. (لانجوت إذ نجى) ..

وحذارى يا أصدقاء فبمجرد أن يبدء العراك (فلا تراجع ولا استسلام) ..

حتى ننتهى من الأمر أو نهلك دونه .. وحين يحضر باقى النزلاء لفض العراك لا تستجيبوا لهم سريعا حتى تخور قواكم ويغلبوكم ..

وما أن تمكنوا منكم ونجحوا فى السيطرة عليكم وفض العراك .. فلا تكفون حينها أيضا عن إرشاقهم بالسباب والوعيد >> ..

وما أن أنهيت كلامى إلا وبصديقى (خالد) ذلك الفتى طويل القامة مفتول العضلات ، وبسرعة إستجابة أربكتنى أنا شخصيا ، ينطلق مسرعا ناحية باب الغرفة ويتبعه بقية الأصدقاء دون تردد ولا هوادة ، حتى وجدت نفسى فجأة فى المؤخرة أهرول للحاق بهم ، فكدت أن أصرخ فيهم قائلا ..

<< إنتظرونى أيها الأوغاد فأنا من وضعت هذه الخطة >> ..

ربما كانت مرارة الإنكسار قد قتلت الرهبة فى قلوب الأصدقاء وأعمت بصائرهم حينها ، فلم يعودوا يرون أمامهم إلا الثأر لكرامتهم ، ولو كلفهم الأمر حياتهم ..

فها هو صديقنا (خالد) يركل باب الغرفة بقدمه لينطلق ونحن فى إثره كسهام ملأت قلوب الأوباش المعتدين رعبا وفزعا ، فأربكت صفوفهم وشلت حركتهم وعمت الفوضى أرجاء المكان ، وسرعان ما تعالى الصراخ والسباب والضجيج ، وسرعان ما إنقلب النزل رأسا على عقب ..

وها هم الأصدقاء الذين كانت أعينهم منذ قليل لا تفارق الأرض خجلا وغيظا أراهم الأن جبابرة طغاة يلتف حول كل منهم الثلاث أو الأربع فتيان محاولين تهدأتهم واسترضائهم !!! ..

وهنا إنتبهت لأمرغريب ! .. لماذا لا يمسك بى أحدهم كباقى الزملاء محاولا منعى من فعل شئ ما ؟! .. فنظرت للجميع فى غيظ صارخا فى نفسى ..
<< فاليمسك بى أحدكم أيها الأوغاد فأنا معهم !!! .. وأنا من وضع تلك الخطة اللعينة >> .. ثم دفعت بنفسى وسط الزحام مجاهدا ومجتهدا عله يكتشفنى أحدهم ويمسك بى ! .. فأنا لدى حصيلة لا بأس بها من السباب واللعنات قد أفنيت عمرا فى تحصيلها ، ولم تسنح لى الفرصة لإستخدامها حتى الأن ..
فإن لم أطلقها الأن فمتى يكون ذلك ؟! .. فاليساعدنى أحدكم أيها الأندال ..

وسرعان ما حضر المسؤلين عن النزل وتم طردنا ، وطلبوا منا سرعة المغادرة حتى لا يقوموا بإبلاغ الشرطة ، فانصرف أصدقائى لإحضار أغراضهم ، بينما ظللت أنا واقفا أندب حظى على فوات هذه الفرصة النادر حدوثها ، وإذا بأحد المسؤولين يتوجه نحوى قائلا ..

- << أنت .. لماذا لا تزال واقفا عندك ؟ >> ..

- << أنا ؟.. أنا لست معهم ! >> ..

- << أتمزح معى ؟ .. هيا ألحق بأصدقائك حالا >> ..

فذهبت بدورى وأنا أتحدث فى نفسى غاضبا ..

<< الأن فقط هم أصدقائى وأنا معهم ؟! .. تبا لكم جميا أيها الأوغاد !!! >> ..

خرجنا نتسكع فى طرقات بورسعيد والتى خلت تماما من المارة ..

لا نعلم إلى أين نذهب ؟ .. ومع هذا فكانت تغمرنا السعادة والبهجة ونشوة الإنتصار .. فقال صديقنا (مصطفى) مازحا ..

- << أتعلمون يا أصدقاء أظننا قد أخطأنا عندما تخلصنا من أخوكم (حسن) .. فأظنه لو كان معنا إلى الأن لما تجرأ علينا هؤلاء الأوغاد من الأساس >> ..

فرد عليه (عمرو) مستنكرا ..

- << (وديك أمى) ! .. هل نسيته يامصطفى ؟! .. فلو كان هذا الديك لأمك أنت لما تفوهت بهذا الهراء >> ..

فتعالت ضحكات الأصدقاء القدامى بينما تسائل الرفاق الجدد ..

<< ومن يكون (حسن) هذا ؟ >> .. -

- << إنه من أكل (ديك أم عمرو) >> ..

هكذا أجابهم (ساموزين) وهو ينظر ناحية (عمرو) هامزا لامزا ..

ونظر " كريم" نحوى متسائلا ..

- << وأنت مابك .. لما يعتريك الحزن والأسى ؟ >> ..

- << إن كل منكم أخذ فرصته وأطلق لنفسه العنان فى إخرج كل ما فى جعبته من سباب وقاظورات ، ماعدا أنا ، فلم أظفر بهذه الفرصة ولم أطلق سبة واحدة ! بينما أنا من وضعت تلك الخطة !!.. وأنا من أمليت عليكم بهذه التعليمات !!

ألا يعد هذا ظلما >> ..

فانفجر الجميع بالضحك .. وربت "كريم" على تكفى مواسيا حيث قال ..

<< هون عليك ياصديقى ، فربما أبا القدر إلا أن يحفظ لك عذريتك >> .. -

****

الفصل الرابع
لقد عادوا من جديد

١- الصعلوك :

عدنا من جديد للإقامة فى بيت الشباب ، وذلك بعد أن أجرينا بعض الإتصالات والمباحثات ليتبين لإدارة النزل أننا كنا المجنى عليهم ولسنا الجناة ، وقد تغير الوضع كثيرا بالنسبة لنا فى بيت الشباب ، فمنذ معركة الكرامة تلك تغيرت على إثرها نظرة الشباب لنا ، وأصبح الكل يحفظ لنا قدرا ، وتمكنا أخيرا من التعايش والإندماج مع هذا المجتمع المصغر المكون من مجموعات ووفود من شتى محافظات مصر ونجوعها ، ذات الطبائع والثقافات المختلفة ..

ومن أبرز تلك المجموعات هم وفد (الأسكندرية) ، فقد كانوا يسيطرون على النزل إلى حد ما ، وهذا لأنهم الأكثر عددا والأكثر قدرة على المراوغة والتلاعب بالألفاظ وإطلاق الإفهات ، ولكن أكثر ما كان يسوء هذا الوفد من شباب الأسكندرية هو اعتيادهم على تدخين (الماريجوانا) بشكل يومى ، ولهذا كنا لا نقرب مجالسهم ليلا على الإطلاق .. فذات يوم ذهب صديقنا (مصطفى) إلى دورات المياة ، ليجد أحد هؤلاء الشباب هناك فحياه بابتسامة رقيقة ناعمة ، فرد عليه الأخير بصفعة مدهشة ، كتلك الصفعة التى تلقاها

(عبد الحليم حافظ) فى فيلم الخطايا .. فلم يكن الفتى فى وعيه آنذاك ، حيث إحتقن وجهه بالدماء وإنتفخت عروقه ، ولم يستطع التوقف عن الضحك ، ثم إرتمى على الأرض مغشيا عليه من فرط الضحك الهستيرى ..

وبدلا من أن يثأر صديقنا لنفسه أخذ يحاول تهدئته ، ثم يحاول إسعافه ! ..

فقد كان الفتى من شباب الأسكندرية ، وقد أسرف على نفسه فى هذه الليلة ..

ولقد تعلمنا الكثير والكثير من هذا الإختلاط والإندماج مع هذا الكم الهائل من الشباب بمختلف ثقافاتهم وعاداتهم ، وأصبح الأن لدى فراسة تمكننى من معرفة لأى المحافظات ينتمى من أتحدث إليه دون أن يخبرنى هو بذلك ..

ومن بين هذا الكم الهائل من جموع الشباب ، قد تعرفنا على شاب فريد من نوعه (غريب أطوار آخر) ، ولكن هذه المرة جاءنا من الأردن .. إنه ذلك الوافد الجديد (أمجد) .. فقد أفنى عمره كله مع والده فى الأردن ، وعاد إلى مصر ليلتحق هو الآخر بالجامعة هنا ..

وكان الفتى يحترف لعبة (الكاراتيه) ، وكان يمتلك قدم صلبة وركلة قوية ، وقد إلتمعت عيناه حين رأى صديقنا (خالد) .. ذلك الفتى القوى مفتول العضلات ، فراق له بنيانه وقوة زراعه ، ووجد فيه ضالته ، وأنه الخصم الجدير بالمنافسة ، فأصبح كلما رآى صديقنا شاء أم لم يشأ ، دخل معه فى تحدى ونزال

طويل وعنيف ، رهانا على قوة التحمل والمثابرة ، حيث هذا يركل هذا ، بينما هذا يلكم هذا .. وكان الأمر مسليا فى البداية ، فكان الشباب يلتف حولهم فى شغف وترقب ، ولكن مع مرور الوقت وتكرار الأمر أصيب الجميع بالملل وكذلك صديقنا المسكين (خالد) ، فحتى عندما كان يحتدم النزال بينهما ويطرح أحدهما الآخر أرضا ، يقوم المارة بالوثوب من فوقهما وتخطيهما كأنهما حفرة تعترض طريقهم ، ثم يكملون سيرهم دون النظر إليهما ودون أن يعيروهما أى إهتمام ! ..

فهذا المجنون كان لديه طاقة غريبة فلا يكل ولا يمل ، بينما صديقنا لديه كبرياءه الذى يمنعه من رفض ومواصلة التحدى تحت أى ظروف ، فكل ما يستطيع صديقنا المسكين فعله هو أن يتوارى عن أنظار هذا المجنون لئلا يراه ومنذ ذلك الحين وأصبحت عضلات صديقنا (خالد) المفتولة والمتباهى بها هى مصدر شقائه ومعاناته ، وأصبحت حياته تشبه حيات المطاريد ، فدائما ما يكون مترقب ويتحسس خطاه كلما غدا أو راح ، ودائما كنا نتقدمه ببضع خطوات لنأمن له الطريق عند دخوله وخروجه من النزل !!! ..

وكان هناك شاب ريفى لا أذكر من أى محافظة ، حيث كان هو الوافد الوحيد من قريته على ما يبدو ، وكان الجميع يعاملونه معاملة مهينة وكأنه صعلوك بدون مبالغة وبدون سبب واضح ، وبالأخص وفد (الأسكندرية)

فكانوا يتفننون فى إهانته ، وكنت أتعجب حينها .. كيف لهذا الشاب قوى البنية مكتمل الصحة شديد البأس أن ينتهى به الحال ليصبح أضحوكة وسط هؤلاء الشباب أصحاب الأجسام البالية الخربة من فرط تدخينهم (للماريجوانا المخدرة)؟! ..

فكنت أشفق عليه حقا ، فأتحدث وأتودد إليه لأخفف عنه وطأة الإهانات التى يتلقاها كلما غدا أو راح ، دون أن يكون لدى ما أقدمه له غير نصحه بالبحث عن نزل آخر ، فهذا النزل لا يناسبه بأى حال من الأحوال .. وفى يوم من الأيام جاء وافد جديد إلى النزل ، وكان وحيدا لا يعرفه أحد ، وساقه قدره العثر إلى أن ينزل فى غرفة تخص مجموعة من وفد الأسكندرية ، وما هى إلا ساعات قليلة من الليل إنقضت حتى خرجنا من غرفتنا على صوت العراك ، وإذا بالوافد الجديد يغادر النزل متوعدا بالويل بعد أن قام أحدهم بسلبه حزامه على سبيل الإهانة !

وفى عصر اليوم التالى وأمام نزل الشباب وقف عدد غفير من الشباب حاملى الجنازير والهراوى غريبة الشكل ، ولا يسألنى أحد من أين أتوا بهذه الأشياء فأنا مثلكم أتساءل ، وعلى أى حال إنهم أبناء المحافظات فلا عجب إذا فى ذلك .. وفى وسطهم يقف أحد شباب الأسكندرية ومن الواضح أنه سبب هذه المشكلة وهو من إنتزع الحزام .. وعلى إستحياء ورهبة غير مسبوقة يقف

بعض شباب الأسكندرية فى ترقب للوضع ، فإذا بصديقى (ساموزين) يتدخل محاولا تهدئة الوضع ، فأسكته أحد الشباب المدججين بالسلاح بعامية شديدة العنف قائلا ..

(إخرس ياض) .. فاحتقن وجه صديقى بالدماء وتغير لونه ، فجذبته من ذراعه إلى داخل النزل ، وقلت له ..

- << إن حدثت هنا معركة فلن تكون بالهينة ياصديقى ، وليس لنا في هذا الأمر ناقة ولا جمل ، فوجودنا معهم فى نزل واحد لا يعنى أننا نتحمل معهم تبعات أخطائهم ونخوض معهم المعارك ! >> ..

فأمسك زميلى بطوق النجاه الذى ألقيته له وجلس فى مكانه ..

ثم ذهبت إلى موظف الإستقبال حيث قلت له .. << هلا إتصلت بالشرطة؟! >> ..

وببرود قاتل رد قائلا .. << طالما لم يقتحموا النزل فلا شأن لى بالأمر !!! >> ..

ودخل علينا أحد الوافدين من الخارج حيث مسرح الأحداث قائلا ..

- << لقد رحلوا وأخذوا الفتى معهم >> ..

وهنا إنتفض (الصعلوك) !!! .. نعم إنه (الصعلوك) ذاته فلا وقت للتعجب !

أخذ الصعلوك يصرخ فى كل الموجودين من حوله (الإسكندرانية) قائلا

- << هل ستدعوهم يأخذونه من بين أيدينا هكذا ؟! .. هل أنتم حقا رجال ؟! .. سأخرج وسوف آتى به وحدى وإن لم تخرجوا معى >> ..

وكان ممسكا بقطعة خشب أتى بها من بهو النزل الخلفى حيث المخلفات والأثاث المتهالك للنزل ، فأسرع الجميع بإحضار المزيد من هذه الأخشاب ، حينها تذكرت على الفور أننا تعرضنا لموقف مشابه فى معركة الكرامة تلك ، ولكن الوضع هنا مختلف بالكلية ، فكل ما فعله (الصعلوك) هو إثارة الحمية فى صدور الشباب دون توجيه وقيادة وتخطيط .. وأن الخصم الأكثر عددا وعدة ليس بغافلا عنهم على الاطلاق ، فهم مازالوا فى مسرح الأحداث حاملين أمتعتهم ومتوقعين ردة فعل محتملة ، فلن يفاجأهم الهجوم على أى حال ، وأيقنت حينها أن (الصعلوك) لن ينجح فى تخليص الفتى ، بل وليس لديه النية حتى لفعل ذلك ، ولكنه قد نجح بالفعل فى تغيير وضعه الخاص بين شباب النزل ، وأنه لم يعد (صعلوكا) بعد الأن ..

فإنطلق من كان منذ لحظات (صعلوك) ، وإنطلق معه عدد من شباب (الأسكندرية) مشتعلى الحمية ، وهم صديقى للخروج معهم متأثرا بخطبة ذلك (الصعلوك) الرائعة ، فأمسكت بذراعه ونظرت إليه قائلا ..

- << أنا لم أخذلك يوما ياصديقى منذ أن عرفتنى ، فلا تذهب معهم أرجوك >> .. فجلس صديقى على مضض ، بينما أنا .. فقد قتلنى الفضول لمعرفة

ماذا سيحدث ، فأنا مولع بوضع الخطط والإستراتيجيات كما تعلمون ، وما كان لحدث مثل هذا أن يمضى هكذا دون أن أعاينه بنفسى ، فوضعت يدى على كتف صديقى وقلت له .. << لا تتحرك من مكانك سأعود فى الحال >> .. وانطلقت مسرعا كى لا يفوتنى شئ من الحدث ، فإذا بالشباب الثائر منطلقين فى إتجاه خصومهم بقيادة (الصعلوك) فى مشهد مهيب لتخليص صديقهم المأسور ، بينما إنطلقت نحوهم كتيبة من صفوف الخصم فى تنظيم وتشكيل رائع قد حسموا به الأمر قبل أن يبدأ من الأساس ، وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على التمرس والخبرة والباع الطويل فى إدارة مثل هذه الأمور ..

بينما ظل البقية ملتفين حول الفتى الأسير .. وقبل أن يبدأ الإلتحام .. لاذ (الصعلوك) بالفرار !!! .. وعلى إثره إرتبكت صفوف الثائرين ولاذوا هم أيضا بالفرار .. فتحول النزال إلى مطاردة ، حيث توجه الثائرين إلى النزل ليحتموا به بينما تسعى جحافل الخصم فى طلبهم ! ..

وكما قالوا عن الحب أن منه ما قتل فإن من الفضول أيضا ما قتل ، فحرصى وشغفى على رؤية الحدث للنهاية وضعنى ودون أن أشعر فى قلب الحدث ولا سبيل للتراجع وتفادى الأمر ، فاتخذت قرارى سريعا ، حيث وضعت يدى فى جيبى ، وإرتكزت بظهرى على حائط النزل ، ورفعت إحدى قدماى لترتكز هى الأخرى على الحائط بينما وقفت على الأخرى ، ورسمت على وجهى ملامح

اللامبالاة تلك ، متجاهلا تماما ذلك الفتى المنطلق نحوى شاهرا أداته التى صممت خصيصا للقتل وتهشيم العظام وكأننى لا أراه ولا يهمنى أمره بالمرة ، وبنظرة سريعة تفحصنى فيها الفتى ، حلت السكينة على قلبه الهائج ، وعدل عن قتلى ، وانطلق باحثا عن غيرى ..

دخلت إلى النزل فاندفع نحوى صديقى سائلا عن مجريات الأحداث بالخارج ، قلت له .. لا شئ لقد هزم الشباب ، فقال .. وما مصير الفتى الأسير ؟

فقلت .. لا تقلق عليه فانه الأكثر أمانا فى الخارج على ما أظن ، ففى النهاية إنهم مجرد طلبة ، فلن يتورطوا فى إلحاق الأذى به ، وستراه بعد قليل داخلا علينا دون حزامه وربما زادوه صفعة أو إثنين لا أكثر جزاء على فعلته ..

وبينما يتراشق الشباب فى بهو النزل بإلقاء اللوم على بعضهم البعض ، إذ دخل علينا الفتى الأسير مطأطأ رأسه منزوع الحزام ويبدوا على وجهه أثار صفعة أو إثنين .. حينها نظر إلي صديقى وهز رأسه باسما ..

أما صعلوق الأمس فقد أصبح اليوم سيد القوم ، وأصبح هو من يمطرهم بالسباب دون داعى مثلما كانوا يفعلون معه بالأمس ، و أصبح الأن يتجاهلنى تماما ويتحاشى النظر فى وجهى ! .. فربما رؤيته لى تذكره بيوم أن كان (صعلوكا) أربت على كتفه مواسيا ..

****

٢- نافذة الى الجانب الآخر :

وعلى أى حال فقد كانت الأمور تسير معى على نحو جيد ومثالي إلى حد كبير ، إلى أن رأيته متجها ناحية الدرج .. إنه ذلك الفتى غريب الأطوار الذى أحضره لنا (رضا) يوما ما ، أنتم تتذكرونه بالتأكيد ، ذلك الشاب الأنيق غريب الأطوار ذو البشرة البيضاء الشاحبة والأعين الزرقاء الذابلة ، والذى لا تظهر على ملامحه أى تعبيرات تشعرك بأنه حى يرزق ، أنتم الأن تتذكرونه بالتأكيد ..

فذهبت إلى موظف الإستقبال والذى أصبح بيننا وبينه علاقة طيبة تسمح لى بطلب خدمة بسيطة منه بشأن التحقق من نزول أحدهم للإقامة فى النزل ، متى وفى أى غرفة نزل ؟ .. ولكن الغريب أننى لم أتذكر إسم الفتى !!! ..
وعلى أى حال فقد أكد لى موظف الإستقبال أنه لا يوجد نزلاء جدد منذ أربعة أيام ، وذلك لأن جميع الغرف شاغرة منذ ذلك الحين ، وحين أخبرت أصدقائى بشأنه وجدت أن أى منهم لا يتذكر إسمه أيضا !!! .. ولكنهم إستبعدوا أن يكون الفتى مقيم معنا فى النزل منذ أربعة أيام دون أن يراه أحدهم ، لذا فقد رجحوا إحتمالية أنه قد خيل لى رؤيته ..

وذات ليلة عزم أصدقائى على النزول لشراء بعض الأغراض وشراء شيأ لنأكله على العشاء ، ولكنى تخلفت عنهم لشعورى بالتعب والإرهاق ، وأثناء جلوسى على سريرى فى الغرفة أخذت أطالع بعض المذكرات التى إشتريتها لتوى اليوم ، فأحسست بطعم غريب فى فمى مالح بعض الشئ ، فمددت يدى لأكتشف أنها دماء !!! ..

فذهبت إلى دورات المياه لأتخلص من هذه الدماء فى فمى وأنظر فى المرآة لعلى أعرف السبب وراء هذه الدماء التى ظهرت فجأة دون سبب واضح لها ، فرأيت أحدهم من خلال المرآة يخرج من إحدى الحمامات خلفى متوجها إلى الممر مباشرة ، وفى هذه المرة تحققت منه جيدا ، إنه هو الفتى بعينه ولا شك فى هذا ، فانتابتنى قشعريرة ورهبة ، ولكننى تمالكت نفسى وأسرعت للحاق به لمعرفة فى أى غرفة نزل .. ولكن .. أين ذهب ؟! .. فدورات المياه فى منتصف الممر تماما ، لذا كان من المستحيل أن يكون قد قطع الممر لنهايته دون أن أراه ، فمن المؤكد إذا أنه قد دخل إحدى هذه الغرف .. وعلى الفور ودون تردد قمت بإقتحام كل الغرف بحجة البحث والسؤال عن أحد الأصدقاء ..

ولكنى لم أجده فى أى منها !!! ..

فعدت إلى غرفتى واستلقيت على السرير وأخذت أفكر فى لغز ذلك الفتى ؟ ..

فمنذ أن ظهر وتحيطه هالة من الغموض والريبة ! .. لابد أن وراءه خطب ما ، وإتجهت ببصرى ناحية الباب الذى هم أحدهم بفتحه ، لعلهم أصدقائى قد عادوا

أخيرا .. فكانت المفاجأة والتى كان وقعها علي أكبر من أن تصفها بعض الكلمات ، لقد كان ذلك الفتى غريب الأطوار ، بل لقد كانوا ثلاث فتيان كلهم على هيئة الفتى غريب الأطوار نفسه قد دخلوا على الغرفة !!! ..

كان الأمر حقا مفزعا .. وخصوصا حين هممت بالقيام من مكانى فلم أستطع ! .. لقد فقدت السيطرة على جسمى بالكلية ، وكأنه لم يعد لى ، وكذلك لم أستطع أن أحرك فمى لأصرخ طلبا للنجدة من أحدهم .. وباستثناء ذلك كان باستطاعتى أن أحرك عينى وأمررها يمينا ويسارا .. فتابعت بهما فى زعر وترقب تحركات الثلاث فتيان أو الثلاث كيانات بتعبير أدق ، فلم يعد هناك مجال للشك فى ذلك ، لقد مضت فترة طويلة لم أرى فيها أيا من هذه الكيانات اللعينة ! .. حيث توجه ثلاثتهم نحوى ليستقر أحدهم عن شمالى ، والآخر عن يمينى ، بينما إستقر الثالث عند رأسى من الخلف .. وأخذوا يرددون بعض الكلمات المألوفة بالنسبة لى ، لقد كانوا يرددون قولة ..

<< أنت منا ونحن منك .. كن معنا تكن لك المنعة والقوة والسلطة والمال .. وتكون سيدا بين العالمين >> ..

أخذوا يرددونها دون توقف حتى تساءلت فى نفسى .. متى يتوقفوا عن هذا ؟!

وفى أحد أركان الغرفة ، ظهر الشيخ الكبير أشيب الشعر بجلبابه الأبيض الناصع البياض .. لقد عاد من جديد .. كنت قد نسيت أمره أو تناسيته وظننت أنه ربما قد إنتهى هذا الأمر ..

هنا توقفت الثلاث كيانات عن ترديد مقولتهم العينة تلك ، حيث وقف الشيخ الأشيب عند قدمى قائلا ..

- << لقد جئناك على موعد لنأخذ منك العهد والميثاق >> ..

وهنا تحرر لسانى وحلت عقدته وتمكنت من الكلام ، فقلت له ..

- << لم يكن بينى وبينكم ميعاد أو عهد لتطالبنى به ؟! >> ..

- << لقد طلبت أن نعطيك مهلة حتى تأتينا طوعا ، وقد أمهلناك ، وها نحن قد عدنا إليك ، وشئت أم أبيت ، طوعا أم كرها ، أنت منا ونحن منك >> ..

- << مازلت أحتاج لمهلة .. فأمهلونى كى أسترد حياتى أولا ، ثم أنظر فى أمر العهد بينى وبينكم >> ..

فسكت برهة ثم أجابنى قائلا ..

- << ستكون هى الأخيرة .. وسنأتيك ليلة إكتمال القمر من كل شهر كى لا تنسى أمر العهد مجددا >> ..

ثم تحرك الرجل الأشيب ناحية الباب وفى إثره تحرك الثلاثة كيانات ، وما أن خرجوا من الغرفة ، حتى تمكنت من تحريك ذراعى وعادت لي السيطرة على كامل أتراف جسمى من جديد ..

فقمت لأجلس على السرير ، وتكاد رأسى أن تنفجر من شدة الضغط والغليان ، ولم يمضى على ذلك الكثير حتى هم أحدهم بفتح الباب ، فرفعت بصرى نحوه فى ترقب وزعر ، ولكنه كان صديقى (عمرو) هذه المرة ، وتساءل صديقى عن سبب القلق والتوتر الذى لاحظه علي فور دخوله الغرفة ؟! .. فقلت له ..
لا تشغل بالك ، إنه مجرد كابوس أفزعنى وحسب ، ثم دخل أصدقائى الثلاث تتعالى أصواتهم بالضحك والمزاح ، فسألهم (عمرو) .. وأين خالد ؟ ..
فأجابه (كريم) .. لقد أمسك به (أمجد) ذلك الفتى المجنون ، وهم الأن يتصارعون فى آخر الممر ، قال (عمرو) .. فالننسى أمره إذا وهيا بنا نتناول عشاءنا ، فضحك الجميع ، وبينما هم كذلك كنت أنا فى واد آخر ..
لقد عادوا من جديد .. ومعهم تعود معاناتى وآلامى ..

ومنذ ذلك الحين كانوا يأخذونى معهم ليلة إكتمال القمر من كل شهر فى جولات حول ممالك الجن ، وإنها ممالك كبيرة جدا وعظيمة ، رأيت فيها من العجائب والغرائب الكثير ، وعلمت أنهم يعدون لحدث عظيم قد إقترب وقوعه ، فسمعتهم يتحدثون عن معركة كبرى فاصلة ستقوم بين العوالم الثلاث ،

وسمعتهم يتحدثون عن قرب ظهور قائدا يحررهم من سلطة الإله وقبضته ويقودهم نحو نصر مبين ! .. وحتى الأن لم يكلفوننى بشئ ، إنهم فقط يتجولون بي مستعرضين أمامى عظمة واتساع ملكهم ظنا منهم أننى سوف أفتتن بمدى قوتهم وبأسهم وأنضم إلى معسكرهم !..

ألم أقل لكم أنهم حمقى .. وأن الحمقى جميعهم يتشابهون على إختلاف أجناسهم ! .. إنهم يريدون أن يحاربون الإله بحوله وقوته التى أمدهم إياها ! .. فكل هذا الملك على إتساعه وعظمته إنما هو ملك الإله وعلى أرضه ! ..

وقوتهم وبأسهم الشديد هذا إنما منحهم إياه الإله وإن شاء سلبهم إياه فيصبحون بلا حول ولا قوة ! ..

لقد بات الصدام والفصل بينى وبين هؤلاء وشيكا .. ولكن إلى أن يقع هذا فأنا مازلت حيا أرزق ، وما زالت أمامى حياة أعيشها .. فلأدع شأن الغد للغد ، عله حين يأتى ذلك الغد أكون قد علمت ما ينبغى علي فعله حياله ، أو لعلى لا أدرك ذلك الغد من الأساس ! .. لهذا كنت أستأنف حياتى بعد كل رحلة أعود منها وكأن شيئا لم يكن .. دون الإكتراس لكل ما رأيته وعلمته ، حتى عن هذه المعركة الكبرى التى يعدون لها والتى قد باتت وقوعها وشيكا كما يقولون لم أكترث لها .. فإن لهذا الكون إلاله يدبر أمره ، وأنه ما من شئ يحدث فى ملكه إلا بعلمه وإرادته .. فعلا ما يكون الجزع والخوف ! ..

٣- مشاعر كاذبة :

وكنا عائدين من أجازة النصف الأول من السنة الرابعة والأخيرة لنا فى الجامعة فوضعت أغراضى وتوجهت الى دورات المياة لأزيل عن نفسى آثار ومعانات الطريق ، وعند عودتى إلى الغرفة وجدت أصدقائى قد أخلدوا للنوم متأثرين بإجهاد ومعانات السفر ، فهممت بدورى وطرحت جسدى على السرير طلبا للراحة والنوم ، وبينما كنت بين اليقظة والنوم شعرت بتثاقل فى رأسى يزداد شيئا فشيء ، ثم أحسست بجسمى يتحرك رغما عنى يمنة ويسارا ثم إلى أعلى بشكل مفاجئ ، وحين تمكنت من فتح عينى بشيء من الصعوبة والتثاقل وجدتنى أحلق فى فضاء الغرفة تاركا جسدى أراه ممددا من تحتى فى ثبات تام وكذالك كنت أرى أصدقائى ممددين على أسرتهم ، كنت مسلوب الإرادة تماما ، كان هناك شيء ما يتحكم فى تحركاتى ، حتى أننى حاولت التحرر من سيطرته تلك ولكن دون جدوى ، وفجأة أظلم المكان من حولى وإنعدمت الرؤيا تماما للحظات ، وحين عادت الرؤيا رأيت نفسى محلقا فوق طريق أسفلتى بسرعة مخيفة ، رأيت الطريق الأسفلتى يجرى من تحتى بسرعة جنونية ، ثم أظلم المكان وانعدمت الرؤيا مرة أخرى ، وحين عادت وجدت نفسى محلقا داخل منزل لا أعرفه ، كان هناك أناس كثيرين يمرحون فى سعادة ونشوة وكان هناك صوت لغناء أو أناشيد ، فعلى ما يبدوا أنه احتفال بشيء ما ، ولكن .. من هؤلاء فأنا لا أعرف أحدا منهم ؟! .. إلى أن

رأيتها هناك ، كانت (هيام) ، ولكن من هذا الشخص الذى يجلس بجانبها ؟! .. وكيف تسمح له بأن يمسك يدها ؟ .. ولماذا هى سعيدة بذلك .. وكذلك هو ؟! .. ثم أظلم المكان من جديد ..

وكانت شهقة كادت أن تلفظ لها أنفاسى وأيقظت أصدقائى من نومهم فزعين ..

وحين هدئ روعى قمت بالإتصال (بهيام) ولكنها لم تجب ! ..

وفى الصباح لم أجدها (هيام) فى الجامعة كعهدى بها ، فحاولت الأتصال بها من جديد ولكن دون جدوى أيضا ، وبعد يومين قامت هى بالاتصال بى ، فطلبت رؤيتها وتقابلنا فى الحديقة العامة التى اعتدنا الجلوس فيها بعد الجامعة وسألتها عن سبب تأخرها فى المجيء إلى الجامعة ، فقالت أنها تكاسلت قليلا ، ثم قالت لى فى دلال مارأيك بهذه الدبلة فى يدى ؟ ..

فنظرت إليها دون أن ألفظ بكلمة منتظرا سماع المزيد .. فقالت ..

- << لقد ابتاعتها أمى لى .. ليعلم جميع من حولنا أنى أصبحت مخطوبة حتى يتوقف طرق الخطاب لبابنا من حين لآخر ، فهذا الأمر سبب لنا الكثير من الحرج وهذه دبلة مؤقته بالطبع إلى أن تتقدم لخطبتى وتبتاع لى واحدة >> .. فابتسمت لها قائلا ..

- << أبلغى تحياتى لوالدتك واشكريها على صنيعها هذا ، والأن سأترككى لتستريحى من عناء الطريق على أن أراكى غدا فى الجامعة >> ..

كنت أعلم بالطبع أنها تكذب ، ولكنى فضلت البقاء عليها إلى حين تقرر هى إنهاء الأمر كما يحلو لها ، فقد كنت فى أمس الحاجة لوجودها بجانبى هذه الأيام بعدما بدأت الأمور تسوء بعودة هذه الكيانات لملاحقتى ، كنت أحتاج لمن أجالسه لفترات طويلة وأتحدث إليه فى أى شئ دون أن يملنى أو أمل منه ، ووحدها المرأة تصلح لذلك ، وكانت هى المرأة الوحيدة فى حياتى آنذاك ..

مضت الأيام وتجددت بيننا اللقاءات والأحلام والأمنيات وكأن شيئا لم يكن ، إلى أن إنتهى العام الدراسى وكان هو الأخير ، فحزمنا حقائبنا وقمت بتوصيلها حتى مدخل الحى الذى تسكن فيه ، ولم تكن (هيام) من القاهرة بل كانت من أبناء إحدى المحافظات ، وكانت نظرتها لى فى هذا اليوم مختلفة عن النظرة التى اعتدتها منها ، فكانت النظرة هى نظرة الوداع ..

مضى شهرين وما زال الاتصال بيننا قائم لم ينقطع ، فكنت تقريبا أتحدث إليها يوميا ، وفى ليلة وبينما كنت بين اليقظة والنوم شعرت بتثاقل فى رأسى يزداد شيئا فشئ ، وأحسست بجسمى يتحرك رغما عنى يمنة ويسارا ، ثم حلقت فى فضاء الغرفة تاركا جسدى أراه ممددا من تحتى فى ثبات تام ،

وفجأة أظلم المكان من حولى وإنعدمت الرؤيا تماما للحظات ، وحين عادت كنت محلقا على طريق أسفلتى يجرى من تحتى بسرعة مخيفة ، ثم أظلم المكان وانعدمت الرؤيا مرة أخرى ، وحين عادت كنت عند مدخل الحى الذى تسكن فيه هيام ،

حيث على صوت الغناء والصخب وتزاحم الناس ، إنهم يحتفلون بشئ ما ، فهناك صوان منصوب فى الساحة الواسعة من الحى وهناك مسرح عليه فرقة غنائية تنشد أناشيد الأفراح الاسلامية فى ذلك الوقت ، وكان هناك طفلتين يرتديان فستانا أبيض جميل يرقصان على المسرح ، وكان هناك أيضا رجل يرتدى بدلة أنيقة يشارك الطفلتان فى رقصتهما ومرحهما ، أنا أعرف هذا الرجل ، لقد رأيته من قبل .. نعم انه هو بعينة ، أنا لا أعلم حقا لماذا يقترن دائما (الكرش) والجسم الممتلئ بالعريس (الجاهز من مجاميعه) فى هذه الأيام ! ..

وهناك كان صوان آخر بجانب الصوان الأول .. فلابد إذا أن (هيام) هناك ..

فهذه هى سمة الأفراح الإسلامية من حيث عدم الاختلاط فى حفلات العرس ..

لقد أظلم المكان من جديد دون سابق إنظار ، وكانت شهقة كادت أن تلفظ لها أنفاسى إستيقظت عليها ، وبعد عدة أيام إنقطع فيها الاتصال بينى وبين (هيام) لم أحاول فيها الإتصال بها .. تلقيت إتصال من هاتفها الشخصى ، ولكن هذة المرة لم تكن (هيام) هى المتصلة بل كانت والدتها ..

وبنبرة صوت حزينة يبدو عليها التصنع الفاضح قالت ..

- << البقاء لله .. لقد توفت هيام اثر أزمة قلبية مفاجأة ، وقمنا بدفنها منذ ثلاثة أيام ، وقد أوصتنى وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة أن أتصل بك ، فعذرا أننى تأخرت فى الاتصال ، فأنت تعلم صعوبة الأمر >> .. فقلت لها ..

- << البقاء لله يا أماها .. لا داعى للعذر فأنا قد علمت بوفاة (هيام) فى حينها وقد حضرت مراسم تشييع جسمانها بنفسى >> ..

فساد صمت دام للحظات بيننا .. ثم إستأذنت وأنهت الاتصال ..

الغريب حينها أنه لم ينتابنى أى شعور بالحزن والأسى على فقدها ! ..

فعلمت أن العلاقة بينى وبينها لم تكن علاقة حب على الإطلاق بل كانت علاقة احتياج .. فكل منا كان فى احتياج للآخر فى وقت ما .. والأن لم نعد كذلك ..

****

الفصل الخامس
جولة داخل أروقة الحياة

١- زوجة من عالم آخر :

مضت الأيام ولم تتوقف فيها زيارات هذه الكيانات والرجل الأشيب لى عند اكتمال القمر من كل شهر ، وقد تعايشت مع هذا الواقع المفروض علي فإنه لا حيلة ولا سبيل لى فى تغييره .. تاركا ورائى هم ذلك الغد المجهول لحين يأتى ذلك الغد .. فربما أعرف حينها ما ينبغى علي فعله حياله .. أو ربما لا أدرك ذلك الغد من الأساس .. أما الآن .. فإن لدى يوما أظفر به وأعيشه ..

وإستطعت الحصول على وظيفة لا بأس بها ، وفى إحدى ليالى الصيف الجميلة الساحرة هممت لأفتح نافذة غرفتى طلبا لإستنشاق ذلك الهواء الساحر الرقيق ، حينها سمعت صوتا من خلفى يقول .. إشتقنا إليك حبيبى فقد طال علينا غيابك .. نظرت خلفى فإذا بها واقفة عند أحد الأركان ، شاحبة البشرة ، تسيل الدماء من معصمها ، تنظر لي باسمة بينما تنهمر الدموع من عيناها بغزارة .. ومن تحت سريري خرجتا الطفلتان ، زاحفتان على بطنيهما ، منتفختا الوجه بلونهما المائل للزرقة ، وشفاهما الزرقاء ..

جلست على المقعد بجوار النافذة أنظر إليهن ولا أجد ما أقوله أو أفعله ..

- << ما بك ألم تشتاق لرؤيتنا ؟! >> ..

- << بلا .. ولكن ما أتى بكم إلى هنا ؟! >> ..

- << إن كنت لا تريد الإقامة معنا إذا سنقيم نحن معك >> ..

- << لكن الأمور هنا لا تسير على نحو جيد في الآونة الأخيرة ، وقد يكون فى وجودكن هنا خطورة كبيرة عليكن >> ..

- << لا تقلق سنغادر ليلة إكتمال القمر من كل شهر >> ..

- << أنتي على علم إذا بمجريات الأمور >> ..

- << وكيف لا أهتم وأعرف عن زوجى وحبيبى كل شئ ؟ .. بالمناسبة لقد حدثتك أمك بالأمس عن عروس لك ، أخبرها بأن لديك زوجة وطفلتين لن يسمحن لأحد أن يشاركهن فيك ما حييت >> ..

حينها شعرت بضيق فى صدري وقبضت نفسي ، حقا لقد سأمت ومللت من كل شئ ولم أعد أحتمل كل هذا .. كنت دائما أحدث نفسى وأشد من أزرها قائلا .. << مالى وللغد ! .. فالأدع شأن الغد للغد ، فإن لدى يوم أظفر به وأعيشه >> .. أما الآن وبعد أن أصبح لي زوجة وطفلتين من عالم آخر ويقيمون معى فى حجرتي .. فقد أفسد علي حتى ذلك اليوم ! ..

ومن جديد لم يعد أحدا يقرب حجرتي .. فقد كان من دأب المرأة والطفلتين أن تتعالى أصواتهم بالبكاء فى منتصف كل ليلة كما كان ذلك دأبهم حيث كانوا فى شقتهم بذلك العقار .. فلم يعد هناك العقار رقم (١٠١) الذي يتجنب ويخشى الجميع الإقتراب منه .. بل أصبح هناك الآن حجرتى أنا .. هى من يتجنب ويخشى الجميع أن يقربوها ! ..

ترى هل هذا يحتمل ؟! ..

أظننى الآن قد بت أتعجل قدوم ذلك الغد لينتهى معه كل هذا العناء ..

****

مضت الأيام .. وكالعادة الإستيقاظ متأخرا أول أيام العمل من كل أسبوع أصبح شئ مقدس بالنسبة لى .. أين ذهب ملمع الحذاء ؟! .. لقد كان هنا بالأمس! ..

- << أتبحث عن شئ ياحبيبي ؟! >> ..

اللعنة لقد مضى قرابة العام على إقامتها هى وطفلتيها معى فى هذه الغرفة ومازلت إلى الآن أتفاجأ وأفزع من ظهورها ؟! ..

كان مصدر الصوت قادما من خلفى .. فنظرت فإذا بها واقفة عند أحد الأركان من الغرفة كعادتها .. فتحدثت إليها بعصبية أنفس بها عن توترى وفزعى قائلا :

- << أين ملمع الحذاء ياهانم ؟ .. ألا يمكننى الإحتفاظ بشئ داخل حجرتى ! >> قالت والبسمة لا تفارق وجهها كعهدى بها منذ أن اقتحمت حياتى ..

- << إهدء قليلا ياحبيبى فالأمر لا يحتمل كل هذا الغضب >> ..

فقلت لها بانفعال ضاربا بيدى على سطح المكتب الخشبى ..

- << أهدء ! .. وكيف لى أن أهدأ ؟! .. قلت لكى إنه كان هنا ؛ كان هنا>> ..

وإذا بأحدهم يرمى بملمع الحذاء من تحت السرير .. آاااه .. إنه أنتما إذا .. أخرجا من عندكما ..

- << ألم أقل لكما ألا تختبآن تحت سريرى فهذا الأمر يفزعنى ولا أستطيع النوم بسببه ؟! .. ثم ماذا كنتما تفعلان بملمع الحذاء تحت السرير ؟! .. لقد حولتم حياتى إلى كابوس ولم أعد أحتمل كل هذا الجنون >> ..

وهممت أن أرتدى الجورب فإذا بها تقول ..

- << ألم يحن الوقت بعد كى تبدل ذلك الجورب ؟! >> ..

- << لا فأنا أود أن أقتل به ذلك الحقير مدحت >>

- << ولما لا تدعنى أخلصك منه وأريحك من هذا العناء ؟! >> ..

- << لا تتدخلى فى شؤنى خارج هذه الغرفة .. فأنا قادرا على تدبر أمورى بنفسى .. أظننا لن نتحدث فى هذا الأمر مجددا >> ..

- << كما تريد حبيبى .. كما تريد ! >> ..

٢- لص الحافلة :

خرجت من المنزل مسرعا فى محاولة بائسة لإدراك الوقت .. وها هي الحافلة .. فكم أنا محظوظ أن أجدها بهذه السرعة .. كانت الحافلة مزدحمة ؛ فوجدت لنفسى مكانا مناسبا للوقوف وسط هذا الزحام وكل هذه الأجسام التى تكاد أن تكون متلاصقة ، أمسكت بمسند المقعد الذي أمامى ، وأطلقت نظري خلال النافذة المواجهة لى أشغل عيني باللاشيء ، بعد أن خلا رأسي من كل شيء ..

وبينما أنا في تلك الحالة انتبهت فجأة إلى أصابع متلصصة تحاول التسلل إلى جيب سروالي الأيسر .. فانتفضت .. وكردة فعل طبيعية حركت يدي اليسرى بسرعة لأغطي بها جيبي ، فتفاجأت الأصابع من إنتباهي وردة فعلي فانسحبت بسرعة البرق ، فأدرت رأسي بحركة تبدو عفوية إلى يساري ؛ فإذا به شاب ثلاثيني ، نحيف الجسد ، قمحي اللون ، مكتوب على وجهه كلمة (نشال)

يقف مرخيا يمناه بجواره بصلابة ، شاخصا ببصره خلال النافذة مظهرا عدم الانتباه .. فلمعت عيني وارتسمت على وجهى تلك الإبتسامة الشيطانية الخبيثة ورفعت يدى اليسرى لأضعها على مسند المقعد الذى أمامى مرة أخرى ، كاشفا جانبى الأيسر تماما أمام اللص داعيه للمبارزة .. فقد مضت فترة طويلة قد حرمت فيها من لذة المغامرة والتحدي ؛ وتذوق طعم النصر .. وعلى أى حال فأنا لا أراهن على نفيس ؛ وليس لدى ما أخسره ، فلم يكن فى جيب سروالى الأيسر سوى نصف جنيه متبقى من أجرة الحافلة السابقة ..

ولم يخيب اللص ظنى حيث عاود المحاولة ، فعاودت مفاجأته بإنزال يدى سريعا دون النظر إليه .. واستمر الوضع بين كر وفر بينى وبين اللص ، بينما كل منا مثبت عينه على النافذة التى أمامه مدعيا عدم الإنتباه ؛ وفى قرارة نفسه يعلم يقينا أن الطرف الثانى قد فضح أمره ، وأن المواجه أصبحت تحدى واضح وعلى (المكشوف) ، فأخذ كل منا الأمر على عاتقه واحتمى بيننا الوطيس بعد أن تحول الوضع إلى أمر شخصى بينى وبينه ..

كانت محطتي قد اقتربت ، ولكني عقدت العزم ألا أترك الحافلة ، وأن أظل مع اللص حتى النهاية ، وليذهب العمل والدنيا بأسرها إلى الجحيم ..

ولكن قبل محطتي بمحطة واحدة ، رفع اللص الراية البيضاء معلنا هزيمته ، وانسحب نازلا من الحافلة ! فضجت أعماقي بصيحات النصر ، والتقت عينى بعين اللص الذى إلتفت ليرمقنى بنظرة نارية مشبعة بكل معانى وإشارات التحدى فور نزوله على رصيف المحطة إلى أن تحركت الحافلة ..

وهاقد شرفت محطتى على الوصول فأخذت أشق الزحام وصولا إلى باب النزول من الحافلة .. وأخيرا نزلت بسلام من صندوق الدنيا هذا تملؤنى نشوة النصر ، فأخذت أهندم ملابسى بعد معركة الوصول إلى باب الحافلة ، ووضعت يدى فى جيبى الأيسر .. فلم أجد ال (نصف جنيه) !! .. لقد فعلها اللص اللعين !! ..

فتبدلت حلاوة النصر التى إعتدتها إلى مرارة الهزيمة التى لم أتذوقها من قبل ، حيث وقفت متسمرا مكانى لبعض الوقت ، أنظر خلفى فى دهشة وكأننى أبحث عن اللص وسط هذا الزحام رغم علمى بنزوله فى المحطة السابقة ..

فقلت فى نفسى مواسيا .. هون عليك فقد كنت تقارع الرجل فى عقر داره وفى مجال تخصصه ، فالسرقة هى مهنته ومصدر رزقه ؛ فماذا كنت تنتظر أيها الأحمق غير هذه النتيجة ؟! .. وبعد أن تخلصت من حالة التسمر والدهشة تلك ذهبت إلى حال سبيلى ..

دخلت إلى مكتبى بوجه عبوث غاضب فاستقبلنى مدحت بوجه بشوش سائلا .. مابك ياصديقى ؟ .. لعلك تكون بخير !! .. فأجبته .. بخير ؛ بخير .. ثم جلست على المقعد ؛ وأول شئ قمت بفعله هو أن خلعت خذائى ؛ فتبدلت على الفور ملامح مدحت واحتقنت الدماء فى وجهه وأخذ يتمتم ويثرثر ببعض الكلمات ؛ أحسست حينها ببعض الرضى وهدأت نفسى قليلا وأخذت أهيئ نفسى ليومى جديد فى العمل ..

فكم من المكائد دبرها لى هذا البغيض وكانت تنعكس كلها عليه ؟! ..

فقد كان جرمي وسبب معاداته لى هو أننى أقوم بعملى كما يجب بينما هو لا يريد فعل ذلك !! .. وكان هذا يفضح أمره أمام المديرين ..

وهذا هو حال الفاسدين في مجتمعنا .. يحاربون ويعزلون ، وربما يقتلون كل شريف حتى لا يكون شاهدا على فسادهم ! ..

فمشاعر الكره التى يكنها لى هذا البغيض فى صدره لم أرها من قبل إلا فى تلك الكيانات الغاضبة على هيأة الجمال التى كانت تطاردنى وتريد قتلى فيما مضى وأيضا فى نظرة مدير المدرسة الإبتدائية لى حين قمت بفضخ وكشف إختلاسه للجميع ، حيث لم يتوقع الرجل أن طفل فى الصف الرابع الإبتدائى يستطيع التمييز بين علامة الجنيه والقرش على مبلغ الجائزة المقدمة لى من الوزارة لحصول لوحتى الفنية على المركز الأول في المسابقة التي أقامتها الوزارة على مستوى المحافظة .. فقد أعطانى خمسة وسبعون قرشا بينما المبلغ الذي طلب منى التوقيع على إستلامه كان خمسة وسبعون جنيها !!! ..

فالعالم الذى نعيش فيه يعج بمثل هؤلاء اللصوص والفاسدين ، بدأ من النشال الذي قابلته اليوم بالحافلة مرورا بكل المؤسسات والهيآت والوزارات وصولا الي أعلي المراكز التي يمكن أن تتخيلها في هذا المجتمع ! ..

وبشكل مفاجئ تحرك دفتر الملاحظات الخاص بي على مكتبى وتم فتحه بشئ من العصبية .. نظرت لأطالع محتواه ؛ فإذا مكتوب به ..

- << لا تبادلها الإبتسامة وإلا قتلتها لك هذه المرة !! >> ..

فنظرت عن يمينى فإذا بها الزميلة (إيمان) ؛ حسناء الشركة ؛ الجميع هنا يتوددون إليها ويتمنون أن تعطف عليهم بنظرة وابتسامة كتلك التى ترمقنى بها الأن ، فأظن أننى أروق لها ، وعلى مايبدو تعتبرنى فتى أحلامها ! ..

فهذه الحسناء التعيسة لا تعلم مدى الخطر المحدق الذى يحوم حولها الآن ؛ ففى المرة السابقة دفعتها تلك المرءة الملعونة من على الدرج وتسبب ذلك فى كسر ذراعها وإصابتها بالعديد من الكدمات ، وقد عادت اليوم لتوها من أجازتها المرضية ، بعد أن تغيبت عن العمل شهرا كاملا لتتعافى من سقطتها .. وأظنها الأن تنتظر منى بعضا من الحفاوة والسؤال عن الأحوال .... وإلخ ..

وبدون تردد أخرجت ورقة بيضاء قمت بكتابة نص الإستقالة بها ..

يكفى ما تسببت به من أذى لهذه الفتاة المسكينة ؛ فلا أريد أن أتسبب فى قتلها هذه المرة ..

****

٣- العهـد :

خرجت من المكتب بعد أن تخلصت أخيرا من إلحاح هذا المدير المندهش .. فقد كان قرار إستقالتى مفاجئ له وليس له أى مبرر ، ولم يكن له أى مقدمات ؛ فأنا هو أفضل موظفيه على حد قوله ؛ والفتى المدلل الذى لا يرفض له طلب لدى رؤسائه فى العمل ! ..

وحين عودتى إلى المنزل ؛ اتجهت مباشرة إلى غرفتى دون أن أتحدث لأحد ؛ حيث كان يعترينى شعور باليأس والإحباط .. وقد كانت الأجواء فى الغرفة هادئة على غير العادة ، فلابد أنها إذا إحدى ليالى إكتمال القمر ؛ فهذا ماكان ينقصنى اليوم ..

ألقيت بجسدى على السرير دون أن أبدل ملابسى وغط فى نوم عميق ؛ فكان هذا النوم بمثابة الهروب من هذا الواقع المرير ، والذى لا أعلم على أى هول سينتهى ، ولا أملك أن أفعل شئ لتغييره ..

وبحلول منتصف الليل أيقظونى من النوم ، ولكن كانت هذه الليلة مختلف عن الليالى السابقة .. ففى هذه الليلة ، كان عدد الزائرين سبعة أشخاص كلهم على هيئة ذلك الرجل الأشيب ، فعلمت أنه ربما قد حان الوقت ..

فاصطحبونى للولوج عبر النافذة ، وهى نافذة بين العالمين غير مرئية بالنسبة لى ودائما ما كانت تفتح عند أحد الأركان من الغرفة ، حيث تنقلنى من غرفتى إلى إحدى الأماكن من عالمهم فى ليلة اكتمال القمر من كل شهر ..

وفى هذه الليلة عبرت إلى ميدان كبير دائرى الشكل ، أرضيتة مصنوعة من الرخام الغريب والذي لم أرى مثله من قبل ، تحيط به مدرجات رخامية مرصوص عليها تماثيل ذهبية متماثلة فى الشكل والحجم ، ومن بعيد هناك عدد كبير من الكيانات فى هيئة بشرية متماثلة الشكل أيضا ، مصطفين فى صفوف متوازية ، يتقدم صفوفهم رجل أشيب مهيب الهيئة ، وكان أمامى منضدة رخامية عليها قدر من ذهب مملوء بالدماء وبجانبه ريشة ورقعة من الجلد .. وهنا تحدث إلي ذلك الأشيب المهيب قائلا ..

- << أكتب ما سأمليه عليك فى هذه الصحيفة >> ..

فأمسكت بالريشة وأغمستها فى الدماء ، فقال ..

- << أكتب بسم عزازيل رب العرش العظيم .... إلخ >> ..

وأخذ يملى على بقية العهد والقسم بينما كنت أكتب فى رقعة الجلد هذه ،

وما أن إنتهى من إملاء القسم علي حيث قال ..

- << والأن أمسك بالصحيفة واقرأ علينا ما كتبته فيها بيدك وبصوت عال مسموع للجميع >> ..

فأمسكت بالصحيفة وقرأت ما بها بصوت جهور قائلا:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

وهنا عمت الفوضى والغضب أرجاء المكان ، وبدأت التماثيل تتساقط ، وانطلقت نحوى مئات الكلاب الغاضبة المكشرة عن أنيابها ..

فأغمضت عينى واسترسلت فى القراءة وأنا مبتسم وراض عن هذه النهاية السعيدة من وجهة نظرى ، فلم تكن حياتى بتلك الحياة التى أبكى عليها على أى حال ، فعلى الأقل سأموت على دينى ، (واللهم لا عيش الى عيش الأخرة) ..

فسمعت صوتا يشق الظلام ويداعب أذنى برفق قائلا ..

- << قم ياحبيبي .. قم ستتأخر على المدرسة >> ..

ففتحت عينى فى حذر ، وإذا بها أمى واقفة عند رأسى ، فقمت فزعا من مكانى

- << أمى .. أين .. و .. >> ..

- << لا وقت لدينا لهذا .. هيا أسرع فقد تأخرت على المدرسة وصديقك (بكر) فى إنتظارك بالخارج ..... >> ..

- << بكر ! .... كيف ؟ ... و ... >> ..

- << قلت لك هيا أسرع وإرتدى ملابسك >> ..

وها قد دخل علينا الأستاذ (طايع) مدرس أول اللغة العربية ، جهبذ من جهابذة اللغة ، وعلم من أعلام الأدب ، دخل متأبطا خرزانته الرشيقة ، ويحمل فى يده حقيبة بنية مصنوعة من الجلد .

- قيام
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
- جلوس

ثم وضع حقيبته على المنضدة ، وأخرج منها كشكول التحضير ، ثم أمسك بالطبشورة وإتجه إلى السبورة ، تأكد أن البسملة تتوسطها ، والتاريخ الهجرى على يمينها والميلادى على الجانب الآخر منها ، ثم كتب جملة طويلة وضع تحت إحدى كلماتها خط ليميزها ، ثم رجع خطوتين للخلف ، وأشار بخرزانته الرشيقة على الكلمة المميزة قائلا .. أعرب ما تحته خط ..

فرفعت يدى ، ورفع (بكر) يده بحماس مبالغ فيه حتى أنه كاد أن يفقع عين الأستاذ (طايع) بيده حين إقترب منه ، وكاد أن يفسد الأمر بحمقه هذا ، لولا أن

شغف الأستاذ (طايع) باصطياد أكبر عدد من الفرائس أعماه عن إكتشاف الحيلة التى أصبحت واضحة للأعمى بفضل هذا الأحمق ،

وسر صديقى (بكر) كثيرا أنه قد أفلت من بطش الأستاذ (طايع) وذلك لأنه تقريبا كان يعاقب فى كل حصة ويقضيها واقفا عند الحائط بجوار (عبد الرحيم) ونخبة من الأصدقاء فى أخر الفصل إلى نهاية الحصة ..

وبعد انتهاء المدرسة وفى طريق عودتى إلى المنزل أنا و (بكر) رأيت جروا رضيعا بجانب جدار أحد المنازل ، كان يأن من الجوع ، ولا أعلم ما الذى جذبنى إليه! .. فأنا لست مولع باقتناء الحيوانات عامة وخصوصا تلك الكلاب ، ولكنى وجدت نفسى أميل عليه وأتفحصه ، فقال بكر متسائلا :

- << ماذا تفعل ؟! .. أتركه وهيا نمضى فى طريقنا >> ..

فنظرت إليه قائلا ..

- << سوف آخذه معى إلى المنزل وأتولى رعايته .. فأظنه سيكون كلبا جيدا >> ..

فرد بكر قائلا .. << بل أظنه سيكون كلبا ملعونا >> ..

فسألته عن وجهة نظره فقال .. << وما ظنك بكلب يربيه شيطان مثلك ؟! ..

ماذا عساه أن يصبح غير كلب ملعون ؟ >> ..

هنا انتابنى شعور غريب .. شعور متكرر دائما معى ..

شعور بأننى كنت هنا من قبل ! ..

شعور بأننى سمعت هذا من قبل ..

شعور بأن كل هذا قد حدث فعلا من قبل ! ..

الخاتمة

لا أعلم كيف يحدث الأمر ؛ ولا أملك أن أوقفه ؛ ولا أعلم إلى متى يستمر على هذا النحو ، فربما أذهب يوما ولا أعود وأعلق مع العالقين هناك ..
فإن قدر لى العودة فى المرة القادمة ؛ سيكون هناك أحداث جديدة أقصها عليكم فى الصفحات القادمة ، أو ستجدوننى فى الصباح أحد هؤلاء الهائمين بينكم بأجسامهم وأرواحهم بلا وعى ولا إدراك .

تمت بحمد الله

طه لطفى محمد